الجمهوريــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبية

وزارة التـــــعليم العالي والبـــحث العلمي

المركز الجامعي أكلي محند أولحاج بالبويرة

معهد اللغات و الأدب العربي

قسم اللغة العربية وآدابها

دور بشار بن برد وأبي نواس في تجديد الشعر العربي .

مذكرة لنيل شهادة الليسانس

إعداد :

محمد خميسي

إشراف :

نادية أوديحات

السنة الدراسية: 2009-2010

إهـداء :

أهدي عملي هذا إلى جميع طلبة المركز الجامعي و خاصة المقيمين في الإقامة الجامعية للذكور، منهم ، سويسي،بريفي،عمار،تواتي،العيفاوي و صانع النجاح دادو حمزة..

كما أهدي هذه المذكرة، التي ختمت بها مشواري الدراسي الحافل، إلى الأهل والأقارب و

خاصة الوالدين الكريمين ...

وأتمنى أن ينال هذا العمل إعجاب الأستاذة المشرفة نادية أوديحات ،والأستاذ المصحح و أن تكون نافعة لجميع الباحثين في شعبة الأدب العربي.

المقدمة

الأدب العبّاسي غنيّ في أشكاله و مواضيعه، فهناك الأدب المولّد، و هذا الأخير معظم أدبائه مولودين من أبوين أحدهما عربي والأخر غير عربي، مثل بشار بن برد الذي كان فارسي الأب وعربي الأم (بني عقيل) والحسن بن هانئ المدعو أبو نواس، وهذا كان عربي الأب فارسي الأم (أمه جلبان) .

و لم يكن أدبهم عربيا خالصا، في معانيه وأسلوبه، فقد دخل في الأدب فنون وأغراض لم يألفها العرب من قبل كالغزل بالمذكر والزندقة والشعوبية وما إلى ذلك .

أما الأسلوب فدخل عليه شيئ من الضعف بوجود ألفاظ فارسية، و لكن اكتسب رقة في التعبير وتنميقا في العبارات بما أحدثوه من زخرف بديعي وصور بيانية رائعة ...

وقد تناولت هذه الحركة التجديدية التي طرأت في الشعرالعربي، عند هذين الشاعرين، لأن لهما الكثير من القواسم المشركة سواء في أصلهما أو في ثورتهما على التقاليد الشعرية الموروثة، معتمدا بصفة عامة على تلك المراجع من كتب و رسائل ماجيستير، مثل رسالة مظاهرالمجتمع و ملامح التجديد في الشعر لمصطفى بيطام و تلك الكتب التي تناولت أدب هذه الفترة البارزة في تاريخنا العربي مثل كتب محمد سلام زغلول و حنا الفاخوري و شوقي ضيف و محمد خفاجي وغيرها من المراجع .

و قد قسمت هذه المذكرة إلى قسمين أساسيين فصل خاص بالتجديد عند بشار و فصل خاص بالتجديد عند أبي نواس .

و استعملت أيضا مدخلا، ذكرت فيه الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة في عصرهم، لأن الإبداع والإبتكار لا يأتي من فراغ و إنما جملة من العوامل هي التي تؤدي إلى وجوده .

وفي النهاية أتمنى أن أكون قد قدمت نظرة شاملة حول هذا الموضوع، الذي يبقى خصبا و مجالا مفتوحا لمحاولات أخرى قد تتناوله مستقبلا.

تمهيد

قام جماعة من الشعراء الموالي و من والاهم من العرب بالبصرة و الكوفة بحركة مضادة و معارضة لسيطرة النموذج الجاهلي ،و ظهر بين الشعراء من يعرف بحركة المجان أو عصبة المجان ،و قد أطلقت على جماعة من الشعراء الخارجين على التقليد،و على القيم العربية الراسخة في المجتمع وأنماطه التعبيرية و بخاصة في الشعر .

و تروي الروايات في موضعها عن محاولة كل من بشار و أبي نواس تقليد القدماء بقصائد و أراجيز تقليدية و أعرابية ،إلا أن تلك المحاولات لم تكن كلها صادقة التعبير ،عن موقف الشاعر الفني و الوجداني ،بل كانت في معظمها مجاراة لذوق الرؤساء من قادة العرب و أصحاب السلطان من الخلفاء ممن بذلوا المال ،و الشعراء يحصلونه بما يقدمون من الشعر ،و لابد لهم من مجاراة ممدوحيهم حتى يجزلوا لهم العطاء .

و خفت حدة التقليد مع مضي الوقت، و اقتراب القرن الثاني من نهايته و زادت موجة المحدث قوة بفضل إصرار أصحابه و هجومهم الدائب على عناصر التقليد الفنية في شكل القصيدة و تعمدهم السخرية من عدم توافق في المضمون بين تلك العناصر و طبيعة الحياة العصرية .

فكانت سخرية بشار من طبيعة العرب في الحياة و الشعر و أنماط المعاني التي اعتادوها في حياتهم الصحراوية، و كانت رغبته الجامحة في الخروج على الأعراف و التقاليد المتوارثة في شعره المحدث .

و كذاك كان حال أبي نواس في موقفه من الحياة و الناس و التقاليد، ذلك الموقف العابث المستهتر، و كأنه يثور على كل تقليد و متبع ،فقد تعمد أن يبدأ قصائده بالقول في الخمر بدل الوقوف على الأطلال كما كان يفعل القدامى في أشعارهم و يجعلها معشوقته بدلا من هند و الرباب و أسماء و ليلى من معشوقات العرب قائلا :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند و اشرب من الكأس من حمراء كالورد

و يقول:

دع الأطلال تسقيها الجنوب و تبكي عهد جدتها الحضوب.

فالطيب منه صافية شمول يطوف بكأسها ساق أريب.

ولم تكن محاولات المحدثين والمجددين في القرن الثاني قاصرة على تغيير شكل القصيدة وتبديل مطلعها ،أو الإستغناء عنه،بل حاولوا تغيير موسيقاها في إحداث مجزوءات البحور واللعب بالقوافي أو إيجاد إيقاعات جديدة مستمدة من حياة المدنية الحاضرة ،كمافعل أبونواس و أبو العتاهية وابتدع بعضهم نظام المقطعات والمخمسات والمسمطات.

هذا فضلا عماأدخلوه من بديع المعاني وصور التراكيب والألفاظ التي عرفت من بعد بمصطلح البديع .

1-مفهوم التقليد في الشعر العربي:

يقصد بالتقليد تتبع القديم و السير على منواله، وكان الخروج على تقاليد الشعر فى القديم، كأنه خروج عن تراثهم الذي لا ينبغي التطاول عليه، وهذا الخروج كان يثيرفي الكثير من الأحيان النقاد و الجمهور معا .[1]

فالشعر مثلا فيه جملة من الشروط التي تعارف العصر، و اتفق عليها أدباؤه، فمثلا لابد من توفر عنصري القافية و الوزن الشعر، يجعل أدباء ذلك العصر لا يعتدون بخروج أحدهم على أحدهم على الوزن و القافية المعروفين عندهم، فكل خروج يعتبرونه انحرافا عن المنهج الذي سطره الأولون .[2]

و من معاني التقليد أيضا هو أن يكون الشعر متقيدا بأغراضه التقليدية التي تعارف على أهميتها العرب انسجاما مع مفهوماته العامة عن وضيفة الشعر، فالشاعر العباسي على سبيل المثال يمكن أن يتساهل مع تجديده فى الغزل بالمذكر مثلا، لأنه ما يهم الشاعر نفسه و لكن لايتساهل معه فى تغيير بنية قصيدة المدح، و مراد ذلك أن القصيدة الجاهلية حين عرضت للممدوح على أنه مثال في الكرم و الشجاعة و البأس وما إلى ذلك، لم تتعرض له على أنه شخصية إنسانية يمكن أن تختلف عن شخصية أخرى، و

[1] - محمّد حسين الأعرجي، الصّراع بين القديم و الجديد، عصمي للنشر و التوزيع، القاهرة، ص81.
[2] - المرجع نفسه، ص77.

بذلك رسخت خصائص هذا المثال و الشكل الذي ينبغي أن تعرض به لدى الشاعر و الناقد و الجمهور، فكان الخروج عن هذه التقاليد مما يثير الناقد و الجمهور معا .[3]

و قد كان نزوع بعض الشعراء المجددين نحو هذه الأشكال التقليدية للقصيدة، كان بتأثير النزعة المحافضة التي تمثلها مدرسة اللغويين و النحويين طوال القرن الثاني هجري، و ضلت هذه المدرسة المرجع المحذور جانبه في نقد الشعر و تقويمه، و إشهار الشاعر أو إخماله، هذا إلى جانب عوامل أخرى مثل المخزون الثقافي القديم لهؤلاء الشعراء و الذوق التقليدي الذي تميزت به شرائح من مجتمع العصر، وجميع هذا كان يدخل في إطار الحفاض على الموروث الثقافي و الفني للأمة و لعله يدخل ضمن استراتيجية حضارية تضمن للأمة مقومات شخصيتها الأدبية و الفنية و تؤمن لها الإستمرار و البقاء .[4]

و إذا كان بعض الشعراء الأمويين قد حرصوا على هذه التقاليد الفنية ولم يحيدوا عنها بل أصلوا بناءها و أقروا أساسياتها، و أضافوا إليها بعض إبداعاتهم في تنويع المقدمات أو الرحلة ،فإن شعراء العصر العباسي الأول تخلصوا من الإلتزام بنمط القصيدة القديمة وخاصة المقدمة و الرحلة. لأن الغاية الأساسية من هذا التقليد لم تعد ذات قيمة، ما دامت أغلب القيم الإجتماعية في تغير مستمر، و كان لذلك أثره على تطور نظرة الإنسان إلى الحياة و الوجود و إلى الفن و الشعر .[5]

2-مفهوم التجديد في الشعر العربي:

إنّ الصراع بين القديم والجديد كان منذ الأزل و لا زال إلى اليوم، بحيث ما هو جديد اليوم يصبح قديما غدا، كما أنّ الصراع بين القديم و الجديد حتمية إجتماعيّة أكّدتها الدراسات التّاريخيّة، بالإضافة أنّ كل انتقال مرتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمّة الإجتماعيّة و الرغبة في التحوّل من تيّار قديم إلى تيّارآخر جديد أقرب على إحساسهم و أكثر تماشيا مع ملابسات حياتهم. و قد يحمل التجديد عدّة احتمالات منها التغيير و الإتيان بما هو حسن و قد يعني إعادة صياغة القديم في صورة جديدة ملائمة للعصر في حدّ ذاته، و غالبا ما يؤدّي التجديد في جميع المجالات إلى الإبداع.[6]

---

[3] - المرجع نفسه، ص79.

[4] - نور الدين السد، الشعرية العربيّة، دراسة في التطوّر الفني للقصيدة العربيّة حتى العصر العبّاسي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995، ص133.

[5] - المرجع السّابق، ص122.

[6] - سعيد الورقي، لغة الشعر الحديث و مقوّماتها الفنيّة و طاقتها الإبداعيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط2004، ص41.

و من البديهي أن نقول: أنّ أي جديد يكون غامضا بدرجة أو بأخرى و سبب غموضه على الجمهور هو جدّته نفسها، فليس أغرب عليه من أن يجابه بما لم يألف، فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ كلّ جديد يكون في بداية أمره مشوّها سمجا.[7]

و كي نكون أكثر وضوحا، لا بدّ أن نؤكّد هنا أنّ خروج بشّار و أبي نوّاس و مسلم بن الوليد و بن هرمة و العتابي و من جاء بعدهم من الشعراء، لم يكن خروجا على جوهر الشعر القديم، و إنّما كان خروجا على عمود الشعر، فهم لم يقطعوا أنفسهم عن جوهر الماضى لأنّ ذلك لم يقل به أحد، فكلّ ما يتّصل بجوهر الأصالة، أصالة الشعر القديم فقد احتفظوا بمعظمها و حافظوا على القسم الأكبر من طبيعة الشعر و جوهره، أمّا الّذي رفضوه فهو ما نبّه عليه النقّاد القدماء و خاصّة ما جاء في عمود الشعر من قواعد صارمة لو أطاعوها لقبلهم العقل العام و رفضهم الإبداع.[8]

فإذا كان عمود الشعر يفرض على الشّاعر أن يعبّر عن المعنى" باللّفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله" فإنّ هذا الشرط ينفي عن الشّاعر صفة الإبداع و يجعل الشّاعر يردّد ما قاله الأوائل بحيث ينفي عن الشاعر وجوده الخاص أو تجربته الشخصيّة. و من أبرز النّقط الّتي اشتمل عليها عمود الشعر و الّتي يقاس بها الشّعر الجيّد، من أبرز شروطه ألاّ يتجاوز الشّاعر المعنى المألوف إلى معنى غير مألوف، و ألاّ يستخدم الصّور الشعريّة المبتدعة أو الجديدة أو الّتي لم يجر عليها العرف و العادة. و ألاّ يلجأ إلى الغموض فالشعر لمح تكفي إشارته كما يقول البحتري و ألاّ ينقل الشعر عن معناه المألوف. هذه النقط و غيرها هيّ التي خرج عليها أصحابها الحركة الجديدة في الشعر و على رأسهم بشّار و أبو نوّاس، و ليس في خروجهم ما يقطع الصّلة بجوهر الأصالة العربيّة، بل هي دعوة إلى أفق شعري آخر أكثر تحرّرا و أحرص على التوغّل في أعماق الوعي و أقاصي التجربة الشعوريّة.[9]

---

[7] - محمّد حسن الأعرجين نفس المرجع السّابق، ص83.

[8] - محمّد أيمن زكي العشماوي، خمريات أبي نوّاس، دراسة تحليليّة في المضمون و الشّكل، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، 2000، ص190.

[9] - محمّد أيمن زكي العشماوي، المرجع السابق، ص190.

3-الدافع إلى التجديد:

أرجع الدكتور هدارة فى كتابه اتجاهات الشعر في القرن الثاني، الحركة التجديدية إلى ظهور طبقة المولّدين الذين أخذوا من ثقافات البلاد الأخرى مزيجا جعلهم يجمعون بين مزاج العرب و أمزجة الأجناس الأخرى التي أخضعها المسلمون في فتوحاتهم، و أضاف أن ثقافة اللغتين كانت تمتزج في نفوسهم امتزاجا قويا فتتولد من هذا الإمتزاج روحا جديدة لا تنظر إلى التراث الشعري القديم نظرة التقديس والرهبة التي كان العربي يقفها منه .وكذلك انعدمت الرابطة العاطفية أيضا بين هؤلاء الشعراء الجدد و بين معالم الحياة العربية الجاهلية بما فيها من أطلال و نؤى وبعر و ما إلى ذلك فكان ظهورهؤلاء الشعراء إذن دفعة قوية لحركة التجديد في القرن الثاني هجري.[10]

و شأن أبو نواس، شأن بن برد في أن يجعل شعره صورة صادقة لحياته، وأن لا يقيم فرقا بين الأدب و الواقع . و لما كان ذلك المذهب مخالفا لما ألفه سواد الشعراء السابقين و لا سيما المقلدين منهم فقد كان أبو نواس نظير بشار مجددا، و هناك وجه تباين بين الشاعرين الذين يعدان بحق زعيما التجديد في العهد العباسي، فبينما كان بشار مجددا بعامل اندفاع نفسي و ملائمة بينه وبين نزعات عصره، أضاف أبو نواس إلى ذلك شيئا آخر فاتخذا التجديد مبدءا واقعيا جلي المعالم و الأهداف و يعمل على هدم ما هو مخالف له. وقد اضطرا في كثير من الأحيان إلى اصطناع أساليب من سبقهما خاصة في المدح إرضاء لذوي السلطان، تقربا منهم للحصول على صلاتهم. وكانا بحاجة لتلك الصلات التي تمكنهما من العيش و توفر لهم سبل اللهو، زد على ذلك أن الثقافة العربية التي نشأ عليها الرجلان قد أثرت على عقليتهما فمالت بهما إلى التقليد من غير وعي .[11]

---

[10] - محمّد أيمن زكي العشماوي، المرجع السابق، ص197.

[11] - حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسيّة، بيروت، ط 10 ، سنة 1980، ص399.

و قام هؤلاء الشعراء باستبدال المقدمة الطللية ،بمقدمة أخرى هي المقدمة الغزلية أو الخمرية كما هو الحال عند أبي نواس، وخرجوا على تلك الأوزان التي كانت معروفة وسائدة آنذاك ،و نظام القافية الواحدة، و كان لهذه المحاولات عوامل كثيرة ساعدت على ظهورها و انتشارها في ذلك العصر ،وأهم هذه العوامل هي :

_ الرغبة في التجديد و الخروج على المألوف.

_نظم أشكال جديدة تصلح للغناء و توائم مجالس الطرب

_ الرغبة في مسايرة الذوق الحضاري الجديد و الانسجام مع البنية الثقافية العامة في العصر العباسي الأول، و بصورة عامة كانت هناك ظروف ذاتية، و موضوعية أسهمت في ظهور هذه الحركة التجديدية في الشعر العربي .[12]

و هناك ظروف أخرى سياسية و اجتماعية، و فكرية كما سنراها لاحقا

_ **الظروف السياسية:** سقط الأمويّون في الشام فانتقلت الخلافة إلى بني العباس عم الرسول (ص)، وكان مؤسس دولتهم أبا العباس السفاح 750 م _132 ه الذي قتل أمراء بني أمية، و جعل مدينة الأنبار في العراق قاعدة ملكه ثمّ خلفه أخوه أبو جعفر المنصور الذي بني بغداد و نقل إليها كرسي الخلافة، و قد قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس خاصة و الشعوبية عامة و العرب المناهضين للدولة الأموية ممّن يناصرون الهاشميين (علويّين و عباسيين) فشالت كفة العرب و العروبة و رجحت كفة الأعاجم و أصبح العرب عنصرا من العناصر الكثيرة التي احتوتها الإمبراطورية، و تغلغل الفرس في صلب الدولة و كان منهم قوّادا و وزراء و حجّاب و كتاب و ولاّة و أدخلوا على العرب سياسة الحكم المطلق و جعلوا قصور الخلفاء في بغداد أشبه بقصور الأكاسرة في المدائن كما أدخلوا طرائق الفرس في

[12] - نور الدين السد، نفس المرجع السابق، ص42.

تنسيق الدواوين و أساليب الحرب و نظم الحكم و الحياة الاجتماعية و في الأكل و الشرب و اللبس و اللهو و العبث و نشأت من ثم النزعة إلى التجديد و الاستفادة منه .[13]

و قد العنصر الفارسي أكثر الموالي حقدا على الأمويّين و حكمهم الجائر و طغيانهم الشديد و الثورة على الأمويّين قامت في بلادهم و كانوا هم جنودها و المحاربين في سبيلها، و كان منهم القوّاد الكبار مثل أبي سلمة الخلال و أبو مسلم الخرساني، و قد أوصى الخليفة أبو جعفر المنصور إبنه المهدي قائلا: أوصيك بأهل خرسان خيرا فأنهم أنصارك خيرا فإنهم أنصارك و شيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك و دمائك دونك و من لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم و تتجاوز عن مسيئهم و تكافؤهم على ما كان منهم في أهله و ولده.[14]

و أول من استخدم الأتراك في الجيش الخليفة المنصور المتوفى عام 158 ه، و لكنهم كانوا شرذمة صغيرة لا شأن لها في الدولة بجانب الفرس و العرب. و في العام 220 ه استقدم المعتصم عددا كبيرا من الأتراك إشتراهم و بذل فيهم الأموال و بلغت عدتهم 18 ألف ثم ازداد عددهم في جيشه حتى صاروا 70 ألف. و انتقلت سياسة الدولة من أيدي الفرس إلى أيدي الأتراك الذين أخذوا ينكلون بالفرس و العرب جميعا و سعوا في قتلهم، واشتهر منهم الأفشين 227 ه، اشيناس 230 ه، ايتاخ 235 ه و سواهم.

و ورث السلجوقيون الإمارات الشرقية ما عدا مصر و الشام، ودخلوا بغداد عام 447 ه. واستولوا على ديوان الخليفة ببغداد حتى أصبح لا حلّ له و لا عقد، و استمر ذلك إلى زوال الخلافة حيث أغار عليها التتار بقيادة زعيمهم هولاكو فاستولوا على بغداد سنة856 ه الموافق ل 1258 م بمساعدة مؤيد الدين بن العلقمي وزير المستعصم آخر خلفاء بغداد و قتلوا الخليفة و أهله و مثلوا بهم و بموت المستعصم سقطت الخلافة العباسية من بغداد و فرّ بعض الخلفاء إلى مصر في زمن الملك ظاهر بيبرس فأنزلهم و خصّص لهم بعض الوظائف لمعاشهم و بقوا فيها إلى أن انتقلت الخلافة إلى العثمانيين سنة 912 ه الموافق ل 1517 م.[15]

و عمّرت هذه الخلافة العباسيّة أكثر من خمسة قرون، و لكن هذا لم يكن عن إيمان بحق العباسيّين في الخلافة، و لا عن قدرتهم على الاحتفاظ بسيطرتهم قوية و فعالة. وفي عهد بني العباس، لم تعد الخلافة مظهر للوحدة الإسلامية، فقد تفككت وحدتها أموية في الأندلس، فاطمية في مصر، عباسية في العراق.[16]

---

[13] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص350.
[14] - محمّد ربيع، تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل، مؤسّسة الورّاق للنّشر، عمّان، 2008.
[15] - محمّد خفّاجي، نفس المرجع السّابق، ص20.
[16] - محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق، ص14.

-الظروف الاجتماعية: هذا الانقلاب الضخم الذي تم في العراق و اتخذ من بغداد عاصمة لها، تبعه انقلاب ضخم في الحياة الاجتماعية، و قد كان اتخاذ العباسيين بغداد عاصمة لخلافتهم، و هي في بقعة قريبة من بلاد الفرس، سببا مباشرا في تمدد العجم و نقل عاداتهم و تقاليدهم و بدعهم إلى العرب و من ثم كان لابدّ أن تتغير تقاليد الأمة و عادات الناس في المأكل و الملبس و المشرب و أساليب المعيشة، و اتخاذهم ألوانا متحضرة من الرياش و الفراش والبسط المزركشة و كل ما يمدّ إلى المدنية الساسانية بصلة و غير ذلك من المظاهر، الأمر الذي جعل الحياة الحضرية في العصر العباسي أشبه بامتداد لما وصل إليه أحفاد كسرى إبّان حضارتهم القديمة و صحّ ما يقوله أحد المؤرخين إن الدولة العبّاسية ليست سوى دولة فارسية شرقية.[17]

و قد انتشرت العادات الفارسية في المجتمع بسبب الاختلاط سواء في الطعام أو الشراب أو السكن أو اللّهو و الغناء فذاع اللعب بالشطرنج و النّرد و الخروج إلى البوادي و القرى للّراحة و الصيد، حتى أنّ العرب احتفلوا بأعياد الفرس كالنّيروز و المهرجان و كانوا يتبادلون الهدايا فيها...و ذاعت الملابس الفارسية من قلانس و أقبية و عمائم و سواها و تبع ذلك كثرة اللهو والترف حتى أنفقوا الأموال الطائلة إشباعا لرغبات النفوس و إرضاء لدواعي اللذة، وغالوا فى مآدبهم و حفلاتهم.[18]

و رغب الناس في الزواج من الجواري فأنجبن الأولاد، و كثيرا ما كان أبناء الجواري أشهر و أقدر من أبناء الحرائر، نعد من هؤلاء المنصور و الرشيد و المأمون والمعتصم إلا أن كثرة الجواري في بيوت الخلفاء و الأمراء و في مراتع اللهو، كان أيضا مدعاة للفساد الإجتماعي أنّت منه البيئة العباسيّة، فزاد في هذا العصر نشوء طبقة الغلمان و الخصيان.[19]

و يصور أبو العتاهية غلاء الأسعار في بغداد فيقول:

من مبلغ عنّي الإمـــا م نصائحا متواليـــة

---

[17] - حامد حنفي داوود، تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الأوّل من سنة 132ه إلى 334ه، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1993، ص8.

[18] - محمّد ربيع، نفس الرجع السّابق، ص28.

[19] - عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1997، مجلّد 1، ص37.

إني أرى الأسعـــار أسعار الرعية غاليــة

و أرى المكاسب نزوة و أرى الضرورة فاشية.

و كان التباين بين الطبقات الخاصة و العامة شديدا، فالنفوذ حظ المترفين و لغيرهم الشقاء و الهمّ المقيم.[20]

-الظروف الثقافية: كان رجال العلم في هذا العصر أكثرهم فارسيون حتى قال ابن خلدون، إن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم، وبتشجيع الخلفاء أوفد المأمون الرسل إلى ملوك الروم في استخراج علوم اليونانية و نسخها بالخط العربي، وبعث المترجمين لذلك، و هي مكملة لدار الحكمة التي بناها الرشيد، أما الأتراك فلم يأخذ منهم شيء، لأنه لم تكن لديهم مدنية، و بعد أن تعلموا العربية لم ينبغ منهم في الأدب و العلم إلاّ قليل، كأحمد ابن طولون، و الفتح ابن خاقان. و تجمّعت هذه الثقافات في العراق و امتزجت و كان المتكلمون صلة بين الفلسفة اليونانية و الأدب فقدموا معاني للأدباء و الشعراء لم يكونوا يعرفونها. و كانت بغداد تجذب العلماء إليها من كل أرجاء العالم الإسلامي و اشتهرت بخوارزم و أصفهان في ميدان التفكير و الثقافة، فنبغ منها أبو يزيد البلخي 332ه، أحد تلامذة الكندي المشهور، و أبو موسى الخوارزمي صاحب المؤلفات القيمة في الجبر و الحساب ثمّ أبو الفرج الأصفهاني مؤلف الأغاني و سواهم من العلماء، و قد نشطت الدراسات اللغوية والدينية في مصر و تفوقت الشام في لبشعر و الأدب و اللغة و كان للعراق الصدارة في العلم و الأدب و الفلسفة...[21]

و كان هناك تأثير واضح للثقافة الفارسية،فقد نقلت الكثير من الألفاظ، و دخلت اللغة العربية مثل الجلّاب (ماء الورد)، و من النباتات التوت و الحلنّار (زهر الرمّان) و البستان أصلها بوستان أي أبو الرّائحة. و ألفاظ العلوم مثل الزئبق و المغناطيس و الزنيخ و من المهن المهندز.

---

[20] - محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق، ص28.

[21] - محمّد خفّاجي، نفس المرجع السّابق، ص28.

و كان ابن الرومي يأخذ حكم بهرام جور فينظمها شعرا خالصا، يقول بزر جمهر: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق، فإنها لا تغني، و إذا أدبرت عنك فأنفق لا تبقي. فقال الشاعر العباسي:

فأنفق إذا أنفقت إن كنت موسّرا و أنفق على ما خيلت حين تعسر

فلا الجود يغني و الجد مقبل و لا البخل يبقى المال و الجّد مدبر.[22]

و لم يعرف عن العرب قبل نفوذ الخلفاء العباسيّين أنهم ترجموا كتبا عن أمم أخرى إلا القليل، و لما ولي المنصور عني بترجمة العلوم عناية فائقة و خاصة الطب و الهندسة و العلوم و بعث إلى إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله أن يصله بما أوتي من كتب الفلاسفة و ترجمت له كتب من اليونانية و الرومية، و لم يترجم له شيء في الفلسفة و المنطق و العلوم العقلية،و إنما ترجمت بعد عصره، و من أشهر الكتب المترجمة كتاب كليلة و دمنة،كتاب السند هند من الهندية و كتب أرسطاليس في المنطق و ترجم كتاب المجسطي في الفلك و أفاد منها

المعتزلة في حياتهم وجدلهم، كتاب سير الملوك و الدّرّة اليتيمة لابن المقفّع.

و يعتبر كثير من مؤرّخي الفكر أنّ حركة الترجمة هذه كان لها الأثر الكبير في سير و تطوّر الحضارة الإسلاميّة و الإنسانيّة.[23]

---

[22] - محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق،ص 54.

[23] -محمد ربيع،نفس المرجع السابق، ص60.

الفصل الأول: التجديد عند بشار بن برد

1-الأغراض و المواضيع

2-المعاني

3- اللغة و الأسلوب

4 -الأوزان و القوافي

التجديد عند بشار:

_ نشأته و حياته:

ولد بشار في البصرة حوالي سنة 714 م _96 من أب طيّان فارسي الأصل، يدعى بردا كان مع امرأته ملكا لامرأة عقيلية أعتقت بشار عقيلية أعتقت بشار فانتسب إلى بني عقيل بالولاء فنشأ صحيح العروبة ثم أبدع حينا ليقوم لسانه على لغة عربية خالصة، و عاد يستأنف صباه بالبصرة وهي إحدى حواضر العلم و الأدب فحصّل منها ما استطاع، و قد امتاز منذ حداثته بذكاء حاد و عبقرية باكرة و راح ينظم الشعر فيما قبل و هو في العاشرة من عمره، إلاّ أنه قد ذهب في الحياة على غير تهذيب و لا رادع و لا قيد، فقضى صباه شأن الأولاد الأشقياء خبيثا شريرا هجّاء ينتهك أعراض الناس و لا يتورع من شيء، و قيل أن بشار قد تصدي لجرير بالهجاء كي يردّ عليه الشاعر الأموي، فينتشر اسمه ولكن جريرا لم يلتفت إليه و من المرجح أنه حاول التقرب من خلفاء بني أمية إلا أنه على ما يظهر لم يصب لديهم حظوة، و كان في بدء أمره لا يزال كثير الاختلاف إلى حلقات العلم و الأدب في البصرة، دائم الاتصال بشيوخها و كبار رجالها، و منهم واصل بن عطاء شيخ المعتزلة، ولم يلبث كثيرا حتى تطرف إلى الزندقة و الإلحاد وفي تلك الأثناء تعرف إلى عبدة التي سيتغنى بها في شعره الغزلي و كان ذلك كله ممّا أثار على بشار حفيظة الفقهاء و الشيوخ حتى نفوه من البصرة حوالي سنة 744م_127 ه.[24]

و تولى يعقوب بن داود وزارة المهدي، فاشتدت نقمة يعقوب عليه، و مافتئ يلح على الخليفة ويقبح بشار في عينه ناسبا له الزندقة حتى أمر المهدي بقتله فضرب 70 سوطا مات منها حوالي 784 م_768 ه. تاركا على حد ما قيل أثار في الفارسية و خطبا مع مقطوعات شتّى في النثر و شعرا جمّا ادعى بشار أنه يبلغ إثني عشر ألف قصيدة. و ممّا لاشك فيه أنّ، الكثير من شعر بشار قد أتلف لما فيه من فحش، و أغراضه تنوعت من مدح و هجاء و غزل و رثاء و ما إلى ذلك.[25]

_الأغراض و المواضيع:

_الهجاء:

و لعلّ أشهر من هجاهم بشار وندّد بهم العباس بن محمّد عمّ المهدي و كان معروفا بالبخل، قال فيه قصيدته المشهورة و بها كثير من المعاني الجديدة في الهجاء و أعني قوله:

---

[24] - حنّا الفاخوري، المرجع السّابق، ص371.

[25] - المرجع نفسه، ص374.

ظلّ اليسار على العبّاس ممدود و قلبه أبدا بالبخل معقود

و يسخر من الصفات الجسدية لمهجوّه، فقد سخر من طول عنق واصل إذا هجاه فقال:

مالي أشايع غزال له عنـق كنقنق الدودن ولّى و إن مثلا

عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا.[26]

و هذا اللون الجديد الذي كان مرجعه إلى السخرية و التهكم، جاء ملاءا للفراغ و إظهارا للبراعة الشعرية...فراحوا يذمون اللّحي و يهزؤون بالخلق المشوهة والأنوف الكبيرة و يستهجنون أصوات المغنين...قال بشار يهجو بخيلا:

إذا جأته في حاجة سدّ بابه و لم تلقه إلاّ و هو أنت كمين.[27]

و قد هجا بشار أشخاصا كثيرين منهم حمّاد عجرد و المنصور و المهدي...و كان عنده إمّا اندفاعيّا تلقائيّا و رغبة في الشر أو أداة للتكسب يهوّل بها على الناس كي يردّوا عنهم شره بشيء من المال.

و الهجاء في شعر من سبقه كثير، و الإقذاع فيه غير قليل، إلّا أنّ بشار جاوز الحدود السابقة، و خرج إلى ما يخرج إليه السّلف من الكلام القبيح و القذف الصريح و كان الشعراء قبله إذا هجوا يتعلّقون على الأكثر بالمعاني الاجتماعية كالبخل و الجبن و قلّة المروءة، و كان الذم الشخصي أو الطعن في العرض قليلا إذا قيس إلى ما قاله بشار بمفرده، و قد أفحش بن برد في نيله من الأعراض كما بالغ المحسوس في تشبيهه.[28]

_المديح:

سبقت الإشارة في الحديث عن شعره، إلى أنه كان يعمد في مديحه إلى النمط التقليدي و قد اتصل بجماعة من الخلفاء والولاة والقواد، نذكر منهم في عصر الأمويّين مروان بن محمد، وسليمان بن هشام، وفي عصر العباسيين أبا جعفر المنصور و المهدي ومن ولاة البصرة سلم بن قتيبة ومن وزراء الدولة خالد البرمكي، يقول في عقبة مسلم أرجوزته المشهورة:

يا طلل الحيّ بذات الصّمد.

و يقول في بيته المشهور: يسقط الطير حيث يلتقط الح ب و تغشى منازل الكرماء.

و يقول أيضا في هذه الأرجوزة: ليس يعطيك للرجاء و لا الخوف و لكن يلذّ طعم العطاء.

---

[26] - محمّد سلام زغلول، الأدب في عصر العبّاسيّين(منذ قيام الدولة حتّى نهاية القرن الثالث)، منشأة المعارف، القاهرة، 1995، ص352.

[27] - محمّد ربيع، المرجع السّابق، ص13.

[28] - حنّا الفاخوري، المرجع السّابق، ص375.

و في خالد بن برمك يقول أبياته المشهورة:

لقد أجدى على بن برمــك وما كان من الغنى عنده يجدي.

.

حلبت بشعري راحتيه فدرّتا سماحا كما درّ السحاب مع الرعد.

و جرى بشار في مديحه على سنن السابقين، من صفات الكرم و وصف الممدوح بالغيث و البحر و يضم إليه صفات الشجاعة و الإقدام عندما يصف القادة و الخلفاء. لكنه يحاول مع ذلك التجديد فيبرع أو يأتي بالبديع، أو يسوق المعنى القديم في صورة جديدة أو يأتي به جديدا لفظا و معنى.[29]

ولم يكن الضعف الّذي يرد في شعره ناجما عن التخليط، بقدر ما هو راجع إلى أن بعضه من مراحل الصبي الأولى، وقد ذكرت الأخبار أنّه قال الشعر في العاشرة من عمره. و قد يكون بعض هذا الشعر الضعيف في أسلوبه من المرتجل في المناسبة العابرة أو للفكاهة و التندر مثل قوله:

ربابة ربّة البيت تصبّ الخلّ في الزّيت.

لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت.[30]

و حاول بعض الشعراء أن يترك الحديث عن الأطلال المهجورة إلى قصور الحاضرة المأنوسة و تحوّل الشاعر في أحيان كثيرة من وصف الصحراء و مسالكها إلى وصف الرياض في الحاضرة، و اتخذوا أحيانا من وصف السّفن و رحلتها في الأنهار صورة مقابلة لرحلة البعير

في الصحراء مثل قول بشار في إحدى مدائحه للمهدي:

تلاعب تيّار البحور و ربّما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

و جعلتهم موجة المجون يصفون في مقدّمات مدائحهم الخمر أحيانا، واستهل ذلك بشار و توسع فيه أبو نواس و مسلم وأبو العتاهية توسعا شديدا.[31]

وكان يلجأ كما أسلفنا إلى التقليد إذا رأى فيه ما يفي بغرضه،و يأتيه بما يقصده من وراء ذلك من لبنات. و لم يكن بشار جاهلا لطرائق الشعر القديم، غريبا عن أساليبه و معانيه. فقد أخذ اللغة عن أهلها الخلّص و وعى من نماذج التقليد الشيء الكثير و أنس من نفسه المقدرة على مجاراته، فجرى في مديحه على ما ألفه الشعراء الأقدمون مما يروق أميال ممدوحيه، و يأخذهم من حيث ينزعون، و ركب البحور

---

[29] - محمّد سلام زغلول،المرجع السّابق، ص350.

[30] - المرجع نفسه ص343.

[31] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل،دار المعارف، الإسكندريّة، ج3، ط13، سنة1993، ص165.

الطويلة و عمد إلى نظم متين رصين، يستهل بالغزل و التولّه و وصف الرحيل و ندب الأطلال حتى إذا بلغ الممدوح أطراه و غالى في الإطراء، و بشار هنا يتخذ المدح للتكسب لا غير و يفتن في تقليده و ليس عن انقياد كما يعتقد الكثيرون، بل عن قصد و تعمد.[32]

_الوصف:

و له في الوصف إبداع كإبداع المبصرين، وذكر عن نفسه دهشة الناس لدقة تصويره، فقال في معرض الحديث عن إحدى النّسوة اللاّتي وصفهنّ قال:

عجبت فطمة من نعتي لها هل يجيد النعت مكفوف البصر.

وأشاد بفضله بن المعتز، معجبا برائيته العجيبة البديعة المعاني الرفيعة المباني منها قوله:

و ودّ اللّيل زيد إليه ليلي و لم يخلق له أبدا نهار.

جفّت عيني من التغميض حتى كأنّ جفونها عنها قصار.

ففي القصيدة الكثير من البديع و المعاني المتجدّدة في قوله: "و ودّ الليل زيد إليه ليلي " و أيضا في قوله: كأنّ جفونها عنها قصار.

و يردّد ألوانا بذاتها هي البياض والصفرة في لون البشرة و الأحمر في اللباس قائلا:

و إذا دخلت تصنّعي بالحمر إنّ الحسن أحمر.[33]

و قد كان من قبل لا يعدو الصور العربية الخالصة في الشّام و الجزيرة، فلمّا انطلق تيّار الحضارة الفارسية تناول الشعراء مناهج الحياة و مرافق المدنية الجديدة كمجالس اللّهو و البساتين و الحدائق و أنواع الفرش والريّاش وغير ذلك من المتع الماديّة الّتي جلبتها الحضارة.[34]

_الرّثاء:

نشط الشعراء في الرثاء نشاطا واسعا، إذ لم يمت خليفة ولا وزير ولا قائد مشهور إلاّ وأبّنوه تأبينا رائعا، وقد صوّروا في القوّاد بطولتهم ومحنة الأمة و الجيوش في وفاتهم و كيف ملأ موتهم القلوب حسرة و فزعا.

ولعلّ بطلا لم تذرف دموع الشعراء عليه كما ذرفت على يزيد بن مزيد الذي فتك بخوارج الموصل وفي تأبينه يقول منصور النّميري:

---

[32] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص375.

[33] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص355.

[34] - حامد حنفي داوود، نفس المرجع السّابق، ص12.

وإن تك أفنتك الليالي و أوشكت فإنّ له ذكرا سيغني اللّياليا.

و شاع في هذا العصر بكاء الرفقاء والأصدقاء. بكاء يفجّر الحزن في النّفس، كما يصوّر شقاء الأصدقاء بموت رفاقهم وكيف يصطلون بنار الفراق المحرقة، من مثل قول بشّار في ندب أحد أصدقائه من الزنادقة:

ويلي عليه و ويلي من بينه كان المحبّ وكنت حباّ فانقضى.

قد ذقت ألفته و ذقت فراقه فوجدت ذا عسلا و ذا جمر الغضا.[35]

و واضح ما في هذه الأشعار من دقّة التّفكير و بعد الخيال و يلقانا ذلك دائما في تأبيناتهم، إذ كانوا يتنافسون في استنباط المعاني النّادرة.

_الغزل:

الغزل فن وجداني وظيفته التعبير عن الأحاسيس و عالم الحب دون سواها من المواضيع الأخرى ذات المظاهر الخارجية، التي تتطلب أدبا وصفيّا يتصدّى لها بالتصوير، فيبرزها و يجسّدها على حقيقتها، و الغزل أيضا يعدّ غرضا من أغراض الشعر العربي، برز منذ العصر الجاهلي في اتجاهين رئيسيين هما الغزل الحسّي و الغزل العفيف.

-الغزل الحسّي: كان لكلّ شاعر ماجن الكثير من الرفيقات الماجنات، من جمهور الجواري و الإماء يتغزلن بهنّ تغزلا ماديا فاحشا عابرا دون أن تدفعه تلك العلاقة القائمة بينه و بينهنّ على اللّذة الحسيّة إلى الحب الصادق العفيف الطاهر، فهذا بشار يدعو صراحة إلى الإنغماس في الشهوة الحسيّة بقوله:

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم ما في التلاقي و لا في قبلة حرج.

من راقب النّاس لم يظفر بحاجته و فاز بالطيّبات الفاتك اللّهج.[36]

و قد انطلق بشار في هذا الشعر الماجن على سجيّته، و جاء فيه بكثير من البديع وصور التجديد في الموسيقى و التعبير، و صوّرهن صورا بصريّة جديدة و هو أعمى، و قد أعجب به أبو عمر بن العلاء و اعتبره أبدع النّاس بيتا، في وصف جمال النّساء يقول:

حوراء إن نظرت إليك سقتك بالعينين خمرا.

وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهبا و عطرا.

ونلاحظ هنا أنّ الصفات المذكورة صفات عامة لا تدقيق فيها وهي صفات من مخزونه من الشعر العربي فصفة العيون بالحور، و صفة المرأة بالصفرة و الذهب و ما إليها صفات متداولة، لكنّ الجديد هنا تحويل صفة الكلام إلى صفة بصريّة في تشبيه الحديث بزهر الرّياض حين يقول:

و كأنّ رجع حديثها قطع الرّياض كسين زهرا.

---

[35] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص173.

[36] - مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التّجديد من خلال الشّعر في العصر العبّاسي الأوّل(132-232ه)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995م، ص314.

و لا نعدم في غزله الشّكوى كما يشكو العشّاق من آلام الحب يقول مخاطبا عبدة:

يا عبدة حتّام لا ألقاك خالية و لا أنام لقد طوّلت تعذيبي.

و قد أبدع في ذكر الهجان و طول سهر العاشقين بقوله:

لم يطل ليلي و لكن لم أنم و نفى غنّي الكرى طيف ألم. [37]

و قد كان الغزل الحسّي يدفع الشّاعر إلى الجشع الجسدي، الذي لا يدع فارقا بين الإنسان والحيوان، و هو غزل لم يكن يعرفه العرب في العصور الماضية، عصور الوقار والإرتفاع عن درك الغرائز النّوعية. حقّا عرفوا الغزل الصّريح و لكنّهم لم يبلغوا مبلغ العبّاسيّن في الصّراحة وما وراء الصّراحة من الجهر بالفسوق و الإثم دون رادع من خلق أو زاجر من دين. و قد كانت لبعض المجان قطعا من الحب الأفلاطوني، أو الحب العفيف الّذي يرتفع عن المادة و الحس من مثل قول بشّار:

كأنّ شرارة وقعت بقلبي لها في مقلتي ودمي إستنان.

إذا أنشدت أو نسمت عليها رياح الصّيف هاج لها دخان.[38]

و هناك قصائد فيها الكثير من فحش الكلام حتى أنّ فقهاء البصرة طالبوا بقتله ومن ذلك قوله:

لا يؤيسنّك من مخبّأة قول تغلظه و إن جرح.

عسر النّساء إلى مياسرة و الصّعب يمكن بعدما جمعا.[39]

و هذا المجون له وظائف كثيرة، إنّه يطهّر و يحرّر، و هو يكتسب أهمّية خاصّة بوصفه طقسا احتفاليا أي فعلا جماعياّ، و الفرح فيه شعبي، أي أنّه عام فحتى الطبقات الهامشيّة و الفقيرة تستطيع أن تشارك فيه. إنّه عيد للكل، إنّه لا يلبّي حاجة فرديّة فحسب، و إنّما كذلك حاجة إجتماعية. إنّه عيد لا تعايش فيه الحرّية الكاملة فحسب، و إنما يعدّ كذلك بحريّة أكثر اكتمالا. إنّه يعد بما يتجاوز ثقافة الأمر و النّهي إلى ثقافة بلا إلزام و لا جزاء.[40]

-الموضوعات:

-الشّعوبية:

---

[37] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص348

[38] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص178.

[39] - محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق، ص150.

[2]- أدونيس، الثابت و المتحوّل، بحث في الإبداع و الإتّباع، عند العرب، دار السّاقي، بيروت، ج2، ط1، سنة2002، ص120.

ويمكن تقسيم أصحاب هذه النّزعة إلى قسمين، معتدلة و متطرّفة، فالمعتدلون ينادون بالتسوية بين العرب و سواهم من الشعوب الأخرى أمّا المتطرّفون فهم الّذين تصدق عليهم لفظة الشّعوبية لأنّهم لم يرضوا بالتسوية فحسب، بل ازدروا العرب و صغّروا شأنهم و من أبرز الشّعراء الّذين أوقدوا هذه النّار بشّار بن برد وأبوا نوّاس، فالأوّل كانت شعوبيته صارخة لأنّه كان زنديقا وعدوّا للعرب و لدينهم الحنيف، أمّا الثاني فكانت نزعته واضحة من خلال شعره، فهو يتهكم بقيم العرب و عاداتهم و تقاليدهم و بأساليبهم في إنشاد الشعر كالوقوف على الأطلال و الدّمن و بكائها...

-شعوبية بشّار: بشّار أعجمي الأصل أبا وأمّا ومربّاه في بني عامر مثل قوله:

نمت في الكرام بني عامر فروعي و أصلي قريش العجم.

و قد قال عدّة أبيات يفتخر فيها بالفرس و يدّعي أنّ الروم أخواله، ثمّ أعقبها بذكر أبرز العادات والتقاليد العربية على وجه السّخرية قائلا:

هل من رسول مخبر عنّي جميع العرب.

و قيصر خالي إذا عددت يوما نسبي.

و افتخار بشّار بأصله الفارسي يتردّد كثيرا مثل قوله:

و دعاني معشر كلّهم حمق دام لهم ذاك الحمق.

ليس من فخر و لكن ساءهم شرفي العارض قد شقّ الأفق.[41]

و سبب الشعوبية أنّ الموالي كانوا يستبقون العرب في العلم، إذ كان منهم أكثر العلماء لا في العصر العبّاسي وحده، بل منذ العصر الأموي، و واضح من إسمها أنّها تبحث في فضائل الشّعوب و أيها يتقدّم غيره من الأمم، و قد تحوّلوا بها من المساواة الّتي كانوا يريدونها بينهم و بين العرب إلى إثبات أنّهم فوقهم و أفضل منهم، فهذا بشّار يفخر بمواليه القيسيّين في مثل قوله:

أمنت مضرة الفحشاء أنّي أرى قيسا تضرّ و لا تضار.

و قوله:

إني من بني عقيل بن كعب موضع السّيف من طلي الأعناق.

يتغيّر على العرب و يتبرّأ من ولائهم، مفتخرا بأصله الفارسي كما رأينا ذلك سابقا.[42]

---

[41] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، 368.

[42] -شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط12، سنة1993، ص98.

ـ الزندقة: كلمة زنديق أي مانوي ليست عربية، و إنّما فارسيّة، عرّبت و أطلقت بنفس الإصطلاح الذي كانت تطلق به في بيئتها الأصلية أي على أصحاب ماني، و المنانيّة أو المانوية تزعم أن العالم بما فيه من عشرة أجناس، خمسة منها خير و نور و خمسة منها شرّ و ظلمة و كلها حساسة و حارة، و أن الإنسان مركب من جميعها على قدر ما يكون في كل إنسان من رجحان أجناس الخير على أجناس الشرّ و رجحان أجناس الشّرّ على أجناس الخير، و كان ماني يحرّم ذبح الحيوان، و دعا إلى الزهد في الحياة و التقشف. و فرض على أتباعه صلوات كانوا يستقبلون بها الشمس فيدعون و يزمزمون. و قد اضطر الخليفة المهدي إلى اتخاذ ديوان للفحص عنهم و قتلهم كما حدث لبشّار بن برد الّذي أشاد بعبادة النار، وفي شعره الكثير الذي يشهد على زندقته.[43]

و هنا نقف أيضا عند زندقته التي تعدّ شقا ثانيا لشعوبيته، حيث كان يدين فيها بالرجعة و يكفّر جميع الأئمّة و يصوّب رأي إبليس في تقديم النّار على الطين بقوله:

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتنبّهوا يا معشر الفجّار.

النّار عنصره وآدم طينه و الطين لا يسمو سموّ النّار.

و قوله أيضا:

الأرض مظلمة و النّار مشرقة و النّار معبودة مذ كانت النّار.

و يروى أيضا أنه لمّا سئل يوما عن عدم قيامه بأداء صلاة الظهر و العصر و المغرب التي مرّ وقتها في ذلك اليوم، قال إنّ الّذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة.[44]

_المعاني المتجدّدة: إنّ ما طرأ على المعاني و الأفكار من تجديد في هذا العصر، على يد الموالي المولّدين بالخصوص يعود إلى الآفاق المتحدّثة أمام أعينهم و عقولهم نتيجة ازدهار الثقافات الأجنبية،و تشعبها و لا سيما الفلسفة، و إلى القضايا و المشاكل التي اعترضت عقولهم كالتي تتعلّق بالطبيعة و ما وراءها من عالم الغيبيّات، و مسألة الاختيار و الجبر و الجنّة و النّار و سواها.

و من أمثلة المعاني الجديدة الّتي يعكسها شعر هذا العصر، قول بشّار بن برد الّذي أصبح مدينا للجبرية و مِؤمنا بسلطانها عاجزا عن إدراك المغيّبات:

طبعت على ما فيّ غير مخيّر هواي و لو خيّرت كنت المهذّبا.

أريد فلا أعطي و أعطي لم أرد فقصّر علمي أن نال المغيّباّ.

و من الشواهد الدّالة على كثرة المعاني الجديدة في شعر بشّار، قول بن رشيق: "ثمّ أتى بشّار و أصحابه، فزادوا معاني ما مرّت قط بخاطر جاهلي و لا مخضرم و لا إسلامي، و المعاني أبدا تتردّد و الكلام يفتح بعضه بعضا".[45]

---

[43] ـ شوقي ضيف، الفن و مذاهبه، ص110.
[44] ـ مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص370.

و الذي جعل بشّار ينفرد في معانيه عن سائر المولّدين، هيّ آفة العمى التي ذهبت ببصره، فإذا كان الحب عندهم و عند سائر المتيّمين به يدرك بواسطة العين، فإنه عند بشّار يتمّ عن طريق السمع المقدّر للجمال و الإحساس و في ذلك يقول:

يا قومي أذني ببعض الحيّ عاشقة و الأذن تعشق قبل العين أحيانا.

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كان.

لقد كان بشّار أعجوبة زمانه في ابتكاراته و إبداعاته الشعريّة، و قد صدق من قال فيه: و ما نظر إلى الدنيا قط، و كان يشبّه الأشياء في شعره، فيأتي بما لم يقدر البصراء أن يأتوا بمثله،

وهو القائل: عميت جنينا و الذكاء من العمى فجئت عجيب الظنّ للعلم موئّلا.[46]

و قد تأثر بالفرزدق و جرير، ولا تزال أبياتهم ترنّ في أذنيه، و تتسلّل إلى قصائده، و نرى مثالا عليها في "الميمية" التي هجا بها أبا جعفر المنصور و مدح إبراهيم بن عبد الله بن الحسن العلوي الذي ثار في البصرة، ثمّ أخمدت ثورته.

قال بشّار:

أبا جعفر ما طول عيش بدائم و ما سالم عمّا قليل بسالم.

و ينهج فيها طريق نقيضتين ميميّتين إحداهما للفرزدق و مطلعها:

تحن بزوراء المدينة ناقتي حنين عجول تبتغي البوّرائم.

و آخر لجرير و مطلعها:

ألا حيّ ربع المنزل المتقادم و ما حلّت مذ حلّت به أمّ سالم.

فإذا مررت بقول بشّار:

لا تجعل الشورى عليه غضاضة فإن الخوافي قوّة للقوادم.

فإنّك تذكر قول جرير: و ريش الذّناب تابع للقوادم.

و قوله (بشار):

كأنّك لم تسمع بقتل متوّج عظيم و لم تسمع بفتك الأعاجم.

فهذا معنى الفرزدق في قوله:

---

[45] - المرجع السابق، ص378

[46] - المرجع السابق، ص389.

كأنّك لم تسمع تميما إذا دعت تميم و لم تسمع بيوم بن خازم.

و يروي الخريمي أنّ بشّار قال: لم أزل مذ سمعت تشبيه امرئ القيس شيئين بشيئين في بيت واحد حين يقول:

كأنّ قلوب الطير رطبا و يابسا لدى وكرها العنّاب و الحشف البالي.

أعمل نفسي في تشبيه شيئين في شيئين حتى قلت:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا و أسيافنا ليل تهاوى كواكبه.[47]

و إذا عدنا إلى شعر بشّار، فإنّا نرى إلى جانب المعاني الفلسفيّة، التي ابتدعها و التي سبقت الإشارة إليها، فإنّ الشاعر قد برع في ابتداع معاني جديدة في غرض الغزل، استهوت معاصريه و نالت إعجاب العلماء و النقّاد في أبياته التي وصف فيها ما يعانيه من حبّ صاحبته عبدة، التى طرق طيفها جفونه، فمنعه من النّوم و فيها يذكر جفاءها و صدّها قائلا:

لم يطل ليلي و لكن لم أنم و نفي عنّي الكري طيف ألم.

.

نفّسي ياعبد عنّي و اعلمي أنّني يا عبد من لحم و دم.

إنّ في بردي جسما ناحلا لو توكّأت عليه لانهدم.

.

ختم الحبّ لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذّمم.[48]

و يتّضح الجديد الّذي جاء به بشار، من العدول الجديد الّذي جاء به الشاعر عند تسيره اللّيل بأنه طويل، على خلاف من سبقه ثمّ إنّه لجأ إلى الحقيقة بدل التخيّل حيث وضع العلّة لطول اللّيل أمام النّاس، فاللّيل لا زال له طوله الّذي خلق به و لكن لهمومه لم ينم فخاله طويلا.

و من الظواهر التي نلاحظها في الشعر العبّاسي، تأثره في معانيه، بالأفكار الفلسفيّة العميقة، و الثقافات المتنوّعة التي اصطبغ بها هذا العصر. و تستمرّ الفلسفة بغموضها و تناقضها تسري إلى المعاني، فتجمع بين المتنافر و تألّف بين الأضداد، فهذا بشار يقول:

ليس يعطيك للرّجاء و لا الخو ف و لكن يلذّ طعم العطاء.

إذ يجعل العطاء بدون غاية شيئا مألوفا.[49]

---

[47] - *محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السابق، ص341.*
[48] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص386.

و كان بشار كثير التصرّف في فنون الشعر، كما سلك في قوالب فنّه طرقا لم تسلك من قبل، ولم يأخذ شيئا عن غيره، و هو يصوّر بقوّة خاصّة ما تتركه حاسّتا السّمع و الشّم من آثار في النّفس، و قد أرجع العقّاد ذلك إلى فقدان حاسّة البصر و من ثمّ يرى بن رشيق في قراضة الشعر أنّ بشّار هو امرئ القيس بالنّظر إلى المحدثين.[50]

-اللغة و الأسلوب: ليست سهولة اللغة و دنوّها أحيانا من مستوى العاميّة، هو ما يميّز ظاهرة التجديد فيها، بل هناك ظواهر أخرى بسبب سيطرة عنصر الموالي على زمام الحكم من جهة و تحكّمهم في سوق الأدب و الشعر حتى غزت بعض الألفاظ و العبارات الفارسيّة لغة الشعر كما غزت لغة الحياة اليوميّة، ممّا جعل ظاهرة اللّحن تزداد و تشتدّ خطورتها كلّما زاد عدم الإكتراث باللّغة و قواعدها.

و من أمثلة السّقطات الّتي أخذها الأخفش العالم اللّغوي على بشّار كما قال:

على الغزلى منّي السّلام فربّما لهوت بها في ظل محضرة زهر.

و قال أيضا:

و الآن أقصر عن سميّة باطلي و أشار بالوجلى عليّ مشير.

فهنا اشتقّ الشّاعر كلمتا الغزلى و الوجلى من الغزل و الوجل على وزن فعلى(بالقياس)، و هذا ليس ممّا يقاس، وكذلك جمعه لفظة نون بمعنى البحر على نينان كما في قوله:

تلاعبني نينان البحر و ربّما رأيت نفوس القوم من جريها تجري.

اعتقادا منه أن الكلمة تدخل في قياس هذا الجمع.[51]

و قد لاحظ بن المعتز أن البديع بمفهومه الاصطلاحي الحديث، الذي يعني التأنّق و التنميق من جهة، و على ألوان أخرى هي وليدة الثقافة و الفكر السيّاسي من جهة أخرى، قد كثر عند بشار بن برد و مسلم بن الوليد و أبو نوّاس، و من الآراء الدّالة على أنّ بشّار أب للمحدثين و المولّدين رغم أنّه لم يفرغ لذلك و سمّي أب المحدّثين لأنّه فتق لهم أكرم المعاني و نهج لهم سبيل البديع فاتّبعوه. و تأتي شهادة الأصمعي و هو أحد أقطاب الحركة الأدبية و النقدية دليل على شاعريّة بشّار و سلوكه طريقا لم يسلكه غيره من شعراء عصره حيث يقول مفضّلا إياه على مروان بن أبي حفصة قائلا:"و بشّار سلك طريقا لم يسلك و أحسن فيه و تفرّد و هو أكثر تصرّفا في فنون الشّعر و أغزر و أوسع بديعا و مروان لم يتجاوز مذهب الأوائل.[52]

و من بديعيّاته المخترعة و الّتي تعدّ أكثر قربا إلى الفكرة منها إلى التكلّف، قوله في مقطوعة أكثر فيها من الطّباق:

---

[49] - محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق، ص112.

[50] - كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، سنة1993، القسم الأوّل، ص334.

[51] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص407.

[52] - المرجع السابق، ص460.

لهفي عليها و لهفي من تذكّرها يدنو تذكّرها منّي و تنآني.

حتّام قلبي مشغول بذكركم بهذي و قلبك مربوط بنسياني.

إنّي لمنتظر أقصى الزّمان بها إن كان أدناه لا يصفو لحرّان.

فالطّباق يتردّد كما يلي: يدنو-تنأى، ذكر –نسيان، أقصى-أدنى.

و من ألوان الجناس و المقابلة قوله:

ربّما سرّك البعيد و أصلا ك القريب النّسيب نارا و عارا.

و قد أحسن في التّشبيه المزدوج حين قال:

كأنّ مثار النّقع فوق رؤوسنا و أسيافنا ليل تهاوى كواكبه.[53]

و كان إذا احتدمت فيه شهوته و رغبته في اجتذاب القلوب، عالج شعره بفنّ و اجتهاد كي يخرجه مولّها ساحرا، يذوب رقّة و لهفة، وقد يذهل أحيانا عن حقيقة أمره فينسب إلى نفسه ما يصلح نسبته إلى كلّ واحد سواه مثل قوله:

إنّ في بردي جسما ناحلا لو توكّأت عليه لانهدم.

ممّا حدا بعض نقّادنا مثل طه حسين في كتابه حديث الأربعاء إلى نفي صدق العاطفة عنه، و وصف شعره و التصنّع، غير أن هذا الكذب يصوغه عن قصد ليكون برقعا يسبله على عاهته، فتغفل و لو حينا عن قبحه.

و مجمل القول، أن بشار صادق العاطفة قويّها، مضطرم الإحساس يلجّ به شعوره فيسعى إلى تلبيته بشتّى الطرق و الأساليب.[54]

و كان بشار مطبوعا في معانيه وألفاظه، لا يتكلف القول و لا تشعر في شعره بجهد المثقفين، و إنما يجري كلامه سلسا سهلا، و من أمثلة تحرّره من الإلتزامات اللّغوية قوله:

زرى روحا فلن تجدي كروحي.

و أصلها فعل الأمر، من زار يزور و الأمر للمخاطبة زوري بإثبات الواو.[55]

و على هذا النحو دفع التحضر شعراء العصر العبّاسي الأول إلى إستحداث أسلوب مولد جديد و هو أسلوب كان يعتمد على الألفاظ الواسطة بين لغة البدو الزاخرة بالكلمات الوحشية و لغة العامة الزاخرة بالكلمات المبتذلة.

---

[53] - المرجع السابق، ص460.
[54] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص381.
[55] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق،ص355.

أسلوب وسط بين الغرابة و الإبتذال يعتمد على إختيار الكلمات بدقة وتفاني. و تميز بالنصاعة و الرصانة و الصفاء و الرونق، و تلاه جيل من الشعراء توزّعوا بين من يؤثرون الجزالة و الفخامة و قوّة البناء مثل بشار و مسلم بن الوليد و من يؤثرون اللّيونة و السهولة مثل أبي نواس و أبو العتاهية.[56]

-الأوزان و القوافي:

-الأوزان: من بين الأوزان المهملة التي إكتشفها الخليل بن أحمد الفراهيدي و التي حاول الشعراء النظم فيها، وزن المجتث و وزن المقتضب و هذه الأوزان المهملة لم تكن كثيرة الورود في أشعار العرب، و ممن نظم فيها الوليد بن يزيد و مطيع بن إياس و بشار بن برد و أبو نواس و غيرهم، و نلاحظ أن هؤلاء الشعراء و إن لم يخترعوا وزنا أو أوزانا إلا أن محاولاتهم قد ولّدت رغبة و حبا لدى الناس في التجديد.[57]

و مع هذا فإن هذه الأوزان لا نستطيع إعتبارها تجديدا بالمعنى المعروف، بل هي خروج عن المعروف و ظاهرة من ظواهر اللحن في الوزن الشعري و لم تقدم شيئا ذا بال في الموسيقى الشعرية إلا ما نجده في إختراع الموشحات.[58]

---

[56] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص147.
[57] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص407.
[58] - المرجع السّابق، ص424.

و من تجديده أيضا كثرة الأوزان السهلة، من مجزوءات البحور، و فيها يبدأ الإيقاع الراقص المطرب من مثل قوله:

و لا و الله ما في الشرق من أن ثى لا و لا في الغرب.

سواك اليـــوم أهواهـــا على جدّ بلا لعـب.[59]

و المسألة لم تكن سهولة الشعر و سرعته كما يقول بن قتيبة، بل كانت هذا الغناء العباسي و ما يستلزمه من أوزان و أنظام جديدة. و نستطيع الآن أن نفهم لماذا أدخل الخليل الزحاف في العروض، و لماذا ترك دوائره مفتوحة، و جاء فيها بأوزان مهملة، فقد كان يشعر بحاجة الغناء إلى التجديد في أوزان الشعر، و لو أنه عاش إلى عهد أبي العتاهية لنبّه على ما استحدثه هو و غيره من الشعراء في موسيقى الشعر العربي.[60]

و قد أورد إبراهيم أنيس هذه الأوزان المحدثة و هي:

1- المستطيل و شاهده: لقد هاج اشتياقي في غرير الطرف أحور

أدير الصدغ منه على مسك و عنبر.

2- الممتد و شاهده: صاد قلبي غزال أحور ذو دلال

كلما زدت حبا زاد مني نفورا.

3- المتوفر و مثاله: ما وقوفك بالركائب في الطلل

ما سؤالك عن حبيبك قد رحل.

4-المنسرد و مثاله: على القول فعول في كلّ شأن

و دان كل من شئت أن تداني.

5- المطّرد و شاهده: ما على مستهام ربع الصّد

---

[59] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص355.
[60] - شوقي ضيف، الفن و مذاهبه، ص74.

ف فاشتكى ثمّ أبكاني من الوجد.

و قد يكون ثمة نماذج من هذه الأوزان لدى الشعراء العباسيين و منهم بشار، و لكنها لم تثبت في دواوينهم، خشية من هجوم النقّاد و العروضيين، أو ربّما تقصد النسّاخ إهمال هذه النماذج لأنها خرجت على عروض الخليل مثلما أهملوا كثيرا من أنماط الشعر الأخرى كالمواليا و الكان و كان و السلسلة و الزجل و الدوبيت.[61]

-القوافي: إنّ محاولات التّجديد الّتي عرفتها القافية إبّان العصر العبّاسي الأوّل، لم تكن تخرج في معظمها عن تجزئة الأوزان القديمة و زحافاتها و عللها الّتي صوّرها الخليل بن أحمد، كما أنّها لم تقف عند اختراع المسمّطات و المزدوجات و الرّباعيات و المخمّسات فحسب، بل دفعت بعض الشعراء كأبي نوّاس إلى الإعلان جهرا أنّه قادر على الإتيان بشعر متحرّر من القافية قائلا للأمين بن زبيدة:

فأشارت بمعصم ثمّ قالت من بعيد خلاف قولي إشارة لا لا.

فتنّفست ساعة ثمّ إنــي للبغل عند ذلك إشارة امــش.

فتعجّب الجميع ممّن حضر الجلسة من اهتدائه وأعطاه الأمين صفة شريفة.[62]

-المخمّسات: المراد بها تلك الأشعار الّتي تأتي بخمسة أسطر (أشطر). و من دون وزن و قافية، الأربعة الأولى متّحدة القافية، و هي تختلف من دور إلى آخر، بينما الشّطر الخامس منها يبقى على قافية واحدة في مختلف أدوار القصيدة.

و يرى بن رشيق أنّ فنّ المخمّسات و المسمّطات فن حديث العهد لم يكن معروفا قبل العصر العباسي، و لقد كان بشّار يصنع المخمّسات و المزدوجات عبثا و استهانة بالشعر.[63]

قال الجاحظ كان بشار خطيبا صاحب منثور و مزدوج وسجع و رسائل وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع و الاختراع المتفنّنّين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه و ضروبه.[64]

و في المزدوج تختلف القافية من بيت إلى بيت بينما تتحد في الشطرين المتقابلين. وعادة تنظم من بحر الرجز، وتنسب إلى الوليد بن يزيد منظومة من هذا الطّراز، وصاغ فيها خطبة من خطب يوم الجمعة. وإذا صحّ ذلك كان أول من استحدثه ثم تلاه العباسيّون وفي مقدمتهم بشار، فقد روى الجاحظ كما رأينا ونعته بأنه صاحب مزدوج. ونرى الفرس حين يعودون إلى لغتهم ويحدثون نهضتهم الأدبية

---

[61] - نور الدين السد، نفس المرجع السّابق، ص38.
[62] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص426.

[63] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، 437.
[64] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّبق، ص338.

يستخدمون هذا الضرب تحت إسم المثنوي. ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا أنه هو الذي مهد لظهور الرباعيات وهي تتألف من أربعة شطور، تتفق أولها وثانيها

ورابعها في قافية واحدة، أما الشطر الثالث فقد يتفق أو لا يتفق، مثل قول بشار:

ربابة ربة البيت تصبّ الخلّ في الزيت.

لها عشر دجاجات و ديك حسن الصوت.[65]

وهكذا نجد أن بشار لم يهج الناس اعتباطا، و إنّما كانت لهيئته القبيحة سببا مباشرا دفعه إلى ذلك دفعا، لكي يرد الإعتبار لنفسيته المنحطة، وقد كان لآفة العمى أيضا دورا في إمداده بمعاني لم تخطر لشاعر قبله، فجعلته يعشق ويتلذذ الجمال و الحسن من خلال أذنيه وهذا مخالف لما تعارف عليه شعراء العشق والهوى الذين كانوا يستعملون أعينهم، كما كان لانتشار الغناء و الطرب واللهو في أحياء بغداد تأثيرا في إبداعه الشعري. جعله ينتقل إلى الأوزان الخفيفة و المقطوعات القصيرة، لأنّها تتلاءم مع فن الغناء الذي يتطلب مثل هذه الأوزان.

والحقّ يقال أنّ بشار كان مبدعا و فنانا في شعره، إنه صورة صادقة للعصر الذي عاش فيه، عصر ازدهرت فيه الدولة العباسية في جميع الميادين، فانعكس ذلك على الشعراء و الأدباء الذين أمدونا بقصائد و أبيات تبقى خالدة إلى يوم الدين.

الفصل الثاني: التجديد عند أبي نواس

1-الأغراض و المواضيع

2-المعاني

3- اللغة و الأسلوب

4 -الأوزان و القوافي

---

[65] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص 151.

_أبو نواس:

_نشأته:

هو الحسن بن هانئ الصباح بن عبد الله بن الجراح بن جعادة بن أفلح بن زيد بن هنب بن دوه بن عنم بن سلم بن حكم بن سعد العشيرة بن ملك، وكنيته أبو نواس وتذكر الروايات أنّه كان يكنّى أبا علي ولكنّه كان يشتهي أن يلقب بأبي نواس لأنه من أسماء ملوك اليمن[66]

و قد ولد في الأهواز إحدى قرى خوزيستان في فارس نحو 762م-الموافق ل:145هـ

من أب اسمه هانئ قيل أنه من دمشق من جند مروان آخر خلفاء بني أميّة وقيل من أصل فارسي، أما أمّه جلبان ففارسية وكان أبواه مغموري الأصل على ما يظهر، لا يملكان من المال ما يجعلهما في يسر، وانتقلت الأسرة إلى البصرة والطفل في الثانية أو السادسة من عمره، وكانت البصرة لذلك العهد مركزا من مراكز الثقافة والعلم لا ينافسها إلا بغداد، كان له اندفاع قوّي إلى الأدب والعلم فتتلمذ بنوع خاص لأبي

[66] - محمّد أيمن زكي العشماوي، نفس المرجع السّابق، ص53.

عبيدة وخلف الأحمر الإمام اللغوّي المشهور، وأكبّ على العلم وهو في عقده الأول وشغف به ومازال عليه حتى حصّل ثقافة واسعة.[67]

و قد سمع الكثير عن أمه جلبان من الغمز في وسط البصرة، ومن شعراء هاجموه واتهموها بريبة و قد حاول أن ينتسب إلى قبيلة والده اليمنية أو بني الحكم لكنه ربما ذاق بهذه النسبة فنسب نفسه إلى مضر و هي من غير اليمنية، و ربما ذاق بهذا كله و بالعرب، فجرى مع الشعوبية يفخر بآبائه وأجداده الفرس قائلا:

راح الشّقي على الربوع يهيم و الراح في راحي و رحت أهيم.

متقرقرين كلامهم ما بينهم و مزمزمين كلامهم مفهوم.

و لفارس الأحرار أنفس أنفس و فخارهم في كثرة معدوم.

و تلاقى مع بشّار في الحملة على نهج القدماء في القصيدة و الدعوة إلى هجر مقدّمتها الطّلليّة و بكاء الديار فيقول:

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضرّ لو كان جلس.

و لعلّه بذلك يلمّح إلى قول الشاعر القديم امرئ القيس:

قفا نبكي من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللّوى بين الدخول فحومل.

و يقول أيضا(أبو نواس):

عاج الشقيّ على رسم يسائله و عجت أسأل عن خمارة البلـــد.

يبكي الشقيّ على طلل الماضين من أسد لا درّ درّك قل لي من بنو أسد.

و هذه الدّعوة و إن تلوّنت باللّون الفارسي و بدت شعوبية المظهر، لكنّها دعوة إلى التجديد و الملاءمة بين الشّعر و الحياة و ترك القيم و التقاليد الموروثة و الّتي تمسّك بها العلماء و الشعراء ردحا من الزمن.[68]

و عندما قتل الأمين سنة 813م-198ه، طغى القنوط على نفس الشاعر، و كان قد بلغ منه الانحطاط ما بلغ، فراودته أطياف الموت و الآخرة و فطن إلى حياته الّتى بدّدها في السوء فتاب إلى ربّه و جنح إلى الزّهد، حتى توفّي في بغداد و ماله من العمر غير 54 سنة.

---

[67] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص392.

[68] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص368.

له ديوان شعر طبع مرارا في بيروت و مصر يتضمّن 12 ألف بيت من الشعر، مرتبة على 12 بابا مرجعها إلى الخمر و المجون و الغزل و الوصف و الطرد وما إلى ذلك.[69]

-الأغراض و المواضيع:

-المديح: من بين الشعراء الذين طرقوا باب المديح، المقلّد و المجدّد أبو نواس، الّذي لم يكن يتردّد في مهاجمة القديم و الحمل على أصحابه بكلّ عنف و قوّة.

و شعره في المديح نوعان، نوع كان يخصّصه للطّبقة الأرستقراطيّة من الخلفاء و سواهم، و هو لا يختلف في شكله و مضمونه و طريقة تأليفه على الجاهليّين كالوقوف على الأطلال و وصف النّاقة و التطرّق إلى الغرض المنشود، و احتوائه على الغريب و الألغاز و ما شابه ذلك..

أمّا النوع الثاني من مدائحه فإنّها تبرز مدى الحريّة التي تركها الشاعر لنفسه ممّا جعله لا يلتزم حدود القدماء في أثناء إنشاده للشّعر، فهو في هذا النّوع حر طليق، يبدؤها و يختتمها حسب رغبته، ناهيك عن حرّيته في اختيار المعاني و الألفاظ على النّحو الّذي يريده..

و من أمثلة شعره الّذي استهلّه على طريقة القدماء، فوقف فيه على الطلول و ركب النّياق و أتي بموعر الألفاظ (الغريب) قوله في قصيدة يمدح فيها هارون الرشيد:

حيّ الديار إذا الزمان زمان و إذا الشباك لنا خوى و معان.

.

و إذا مررت على الدّيار مسلّما فلغير دار أميّة الهجران.

و تستمرّ القصيدة على هذا النّهج، حتى يصل الشّاعر فيها إلى الممدوح فيعدّد فضائله و مناقبه، إضافة إلى ذلك، فإنّ مدائح أبو نوّاس يغلب عليها طابع الصّنعة، لأنّه لم يكن يطلبها لذاتها، و إنّما يطلبها على النّحو الّذي تتحقّق له من أجل إثبات وجوده و شاعريّته، كشاعر فحل يحبّ أن يكون له وزنه بين أقرانه و معاصيه.[70]

و من أشهر مدائحه ميميّته في مدح الأمين قائلا:

و إذا المطيّ بنا بلغنا محمّدا فظهورهنّ على الرجال حرام.

و يمدح العبّاس بن عبد الله بن أبي جعفر المنصور:

أيّها المنتاب من عفوة لست من ليلي و لا سمرة.

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرّ من ثمره.[71]

---

[69] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص395.
[70] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص262.
[71] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص394.

و مدائحه أقلّ وزنا في النظرة الشعريّة المحضة، إذ يبرز فيها بقوّة جانب الصّنعة و التكلّف، على حين يتجلّى في مراثيه إحساس عميق و لون صادق التّأثير، يحمل على التّغاضي عن بعض عيوبه لا سيما تعبيره المصطنع و غلوّه الشّرقي.[72]

-الرثاء: إنّ موضوع الرّثاء قد عرف تجدّدا واسعا على يد العديد من شعراء العصر العبّاسي الأول، فبعدما كان الرّثاء في الشعر التقليدي لا يتعدّى حدود معيّنة، أصبح في هذا العصر، نتيجة للتطوّر الّذي طرأ على الحياة في مختلف أوجهها، يتعرّض فيه الشعراء إلى رثاء الملوك و القادة والأصدقاء و الأحباب و حتّى رثاء الحيوانات..

و من يعد إلى ديوان أبي نواس يقف عند نماذج كثيرة من مراثي الحيوانات و بخاصّة الطّيور الّتي كانت تربّى من أجل الصّيد و التسليّة.[73]

و ربّما كان أقلّ حظّا من حيث الجودة من مديحه بل ربّما كان الرّثاء أضعف شعر شعر أبي نوّاس كما يقول طه حسين، وهذا طبيعي لأنّه لم يكن رجلا محزونا، و إنّما كان رجلا مبتهجا بطبعه، يقول طه حسين: "و أنا أزعم أن أبا نوّاس لم يصدق في رثائه إلاّ مرة واحدة و ذاك حين رثا الأمين بهذه الأبيات:

طوى الموت ما بيني و بين محمّد و ليس أما تطوي المنيّة ناشر.

.

و كنت عليه أحذر الدّهر وحده فلم يبقى لي شيء عليه أحاذر.

لئن عمّرت دور بمن لا أودّه فقد عمّرت ممّن أحبّ المقابر.[74]

---

[72] - كارل بروكلمان، نفس المرجع السّابق، ص346.

[73] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص287

[74] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص395

-الغزل: إنّ ديوانه يحوي قصائد ذوات عدد في الغزل و النّسيب و منها ما يكشف عن عاطفة ما حملها الشّعر للمرأة، و فلسفة اللّذة لم تتبلور عنده على تلك الصّورة الّتي جعلت من الخمر قطبها و من الغلمان و السّماع و الطبيعة معرضها و مجلاّها.

و تعرّف إلى جنان و كان يكتم حبّها أوّل الأمر لكنّه لم يطق الكتمان فلهج بذكرها و ردّد إسمها:

جنان تسبّني ذكرت بخير و تزعم أنّي رجل خبيث.

و لي قلب ينازعني إليها و شوق بين أضلاعي حثيث.

و قوله أيضا:

و يرفع الطّرف عنّي أن مررت به حتّى ليخجلني من شدّة النّظـــر.

ما زال يفعل بي هذا و يدمنـــه حتّى لقد صار من همّي و من وطري.

و لعلّ هذا هو الحبّ الوحيد في حياته الّذي خلق في نفسه حرقة و لعلّه فشل، و لم يبلغ منه مراده، مع عقدة أمّه جلبان و ما كان يسمع عنها، و هذا ما ترك في نفسه إحساسا مريرا من المرأة و جعله يخرج إلى الشذوذ في الغرام بالغلمان و التّغزّل بهم و العزوف عن النّساء و كراهتهنّ.[75]

و غزله بالنّساء يختلف عن غزل الغزليّين، فيه ظرف و تندر، تحسّ بروح العذبة و دعابته تجريان مع ألفاظه و صوره مثل قوله:

الله في قتل معذّبتـــي لا تقتلي في غير ما جرم.

لا تفجعي أمّي بواحدها لن تخلفي مثلي على أمّي.

يقول و قد طلب قبلة من جاريّة فتأبت عليه و قالت له لا تلح في الطلب كالطّفل:

سألتها قبلة ففزت بـــها بعد امتناع و شدّة طلب.

فابتسمت ثمّ أرسلت مثلا يعرفه العجم ليس بالكذب.

.

[75] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص390.

لا تعطين الصبيّ واحدة يطلب أخرى بأعنف الطلب.[76]

-الهجاء:

[76] - المرجع السّابق، ص391.

و من الظّاهر أنّ أبا نواس لم يكن من الشّعراء المطبوعين على الهجاء، و مع ذلك فإنّه يأتي به إمّا حزبيّا ينشر فيه نزعته السيّاسيّة أو أدبيّا، و كثيرا ما كان يوجه ذلك الشعر إلى العرب عموما و يحارب بنوع خاص عقليّة الأعراب القدماء.

و في الصّنف الأوّل، وهو الّذي يتألّف من قصائد سياسيّة، يتجلّى فيه ميله السياسي و قلّة اعتداده بالقبائل العربيّة.

و في الصّنف الثاني، و هو الّذي يستهلّ به عادة قصائده الخمريّة، يجهر بشغفه الكبير بالحياة الجديدة الواقعيّة، تلك الحياة المترفة النّاعمة.[77]

و يأخذ شكل ثورة جامحة على الوقوف بالرّسم و الأطلال و بكاء الدّيار، و دعوة حارة إلى المتاع بالخمر على شاكلة قوله:

عاج الشّقي على رسم يسائلــه و عجت أسال عن خمّارة البلد.

يبكـــي علـــى طلـــل الماضـــين مـــن أســـد لا درّ درّك قـــل لـــي مـــن بنـــو أســـد.

.

دع ذا عدمتك و اشربها معتّقة صفراء تفرق بين الروح و الجسد.[78]

ثمّ هناك هجاؤه الانتقامي الّذي يثأر فيه لنفسه، ممّن لا يقدّرون منزلته الشّعريّة على نحو ما يقدّرها هو، و أخيرا هجاؤه المزحي الّذي كان يداعب به أصدقاءه و ندمانه. أو يعارض به منافسيه على أنّ في هجائه عدّة ميزات جديدة منها:

-المجاهرة بازدراء العرب و العقليّة العربيّة.

-الدعاء إلى التوغّل و التمتّع في الحياة الحديثة الواقعيّة اللاّهية.

-عدم الخشية من مدح الأعاجم لاسيما الفرس منهم.

-الرّشاقة في الأسلوب، فهو سهل في الحوافظ جاعلا من مهجوّه ضحكة شائكة.[79]

- **الزهديات:** و الحق أن زهديات أبي نواس هي أبعد ما تكون عمّا عرفناه من الزهديات في تاريخ

---

[77] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص402.
[78] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص231.
[79] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص402.

الشعر العربي، تلك التعاليم الجافة و تلك العظات المصطنعة في كثير من الأحيان، التى لا تصدر عن عاطفة شديدة.

أمّا زهديات أبي نواس فهي من الشعر الغنائي الخالص، هي نغمات شجية، يتراجع فيها نواح قلب صادق و الخوف و النّدم و الزهد في الدنيا، رقيقة و صادقة العاطفة. و هي من أروع ما قيل من الشعر الغنائي العربي القديم[80]

و قد كتب أبو نواس في أواخر حياته أبيات في شعر الزهد منها قوله:

إضرع إلى الله لا تضرع إلى النـاس و اقنع بيأس فإن العزة في اليأس.

واستغني عن كلّ ذي قربة و ذي رحم إن الغني من استغنى عن الناس.

و قد كانت المساجد تفيض بالمتعبدين الزاهدين و أهل الصلاح منهم عبد الواحد بن زيد المتوفى عام 177 ه، و هو الذي بنى أوّل صومعة للنّاسكين في عبّادان قرب الكوفة.

يقول أبو العتاهية:

سقى الله عبّادان غيثا مجلّلا فإن له فضلا جديدا و أوّلا .[81]

إنّنا نلاحظ أنّ الشاعر أبا نواس، لم يكن من قلب حجري، فله أبيات رقيقة تعكس خشيته و تديّنه إلى حدّ ما، و هذا راجع إلى أنّ البيئة العباسيّة لم تكن كلّها فواحش و خمريات، بل هناك مساجد و دير، رجال يسهرون في الحانات و بيوت الجواري. رجال أغنياء يملكون القصور و الحدائق في مقابل رجال لا يملكون قوت يومهم، و هذا كلّه يدلّ على تنوّع الحياة العبّاسيّة و غناها بمختلف المظاهر الاجتماعية و الثّقافيّة.

[80] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص403.

[81] - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة1997، مجلّد1، ص164.

-المواضيع:

-التغزّل بالمذكّر: استنادا إلى بعض المصادر و الدّراسات يمكن القول بأنّ العرب لم يعرفوا قبل النّصف الثّاني من القرن الهجري(العصر العبّاسي الأول) مثل هذا الميل إلى الغلمان، فهو موضوع جديد بالنّسبة للعرب، كان موجودا في الأمم الأخرى مثل الفرس و الرّومان و غيرهم. و لو كانوا قد عرفوه لكان خصومهم الشّعوبيّون قد سجّلوا ذلك عليهم، بل بالعكس فهذه شهادة أبي نوّاس على أنّهم لم يعرفوا هذا اللّون من الغزل كالّذي يتّضح من قصيدته الّتي يثور في مطلعها على الطّريقة التّقليديّة داعيا بذلك إلى نبذ الآثار و الإقبال على الذّات مفتخرا بالحضارة السّاسانيّة قائلا:

و من عجب لعشقهم ال جفاة الجلف و الصّحرا.

لو أن مرقّشا حيّ تعلّق قلبه ذكرا.

.

كأنّ ثيابه اطّلع ن من أزراره قمرا.

بعين خالط التفتي ر في أجفانها حورا.

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا.

فهذا أبو نوّاس يفترض أنّ المرقّش الأكبر الّذي مات حزنا على أسماء ابنة عمّه الّتي تزوّجت غيره، لو رأى هذا الغلام المتحضّر المعطّر ذو الأفضليّة و المرتبة على حبيبته الأعرابيّة.

و هكذا يرى أبو نواس أنّ عشق الغلمان هو نوع من التحضّر لأنّه جاء نتيجة الإختلاط بالحضارات الأجنبيّة و لاسيما السّاسانيّة.[82]

و يعتبر أبو نوّاس من الشّعراء المولّدين الّذين ورثوا دماء فارسيّة، فتغزّلوا بالغلمان و أسّسوا هذا الفن:

---

[82] - مصطفى بيطام، المرجع السّابق، ص355.

يعجبني الأمرد الطّرير إذا أبصرته أهيفا له كفل.

و تفضيله للبنين على البنات واضح عندما يردّ على من يلومه على تعلّقه بالغلمان و ترك الغانيات، يقول:

أ أختار البحار على البراري و أحيانا على ظبي الغلاة.

.

دعيني لا تلوميني فإنّي على ما تكرهين إلى الممات.

و في شعره أكثر من شاهد يدلّ على أنّه يفضّل الغلام على المرأة في مثل قوله:

يا من يقول الغواني أحلى جنى و التزاما.

خذ النّساء و دع لي ممّا يلدن غلاما.

شرطي المراهق منهم قد قارب الاحتلاما.

و هكذا كان شعره دليلا على فجوره و فسقه و تردّيه في مهاوي الرّذيلة.[83]

و الغلمان جماعة من الفتيان المتخنّثين، أمّا الغلاميّات فهنّ متطرّفات خليعات، و قد كان أبو نوّاس مغرما بتلك الظّواهر فوصفها، و تغزّل بهنّ في شعر يلائمهنّ خفّة و سوء أدب و إباحيّة، وقوفا عند الزّخرف السّطحي و الأشكال الحسيّة الخارجيّة من غير تغلغل إلى العاطفة الصّادقة و الجمال الحق. و من ثمّ فقد تهيّأ أن يعدّ من أوّل مبتدعي باب الغزل بالمذكّر عند العرب، و أشهر أعلامه. يندفع إلى التغزّل بهم عن عاطفة مشبوهة فيأتي غزله جامحا من الرّشاقة و الحيويّة و اضطرام الشّعور و حلاوة الفن و الموسيقى و جمال التّصوير.[84]

و قد كان للإختلاط أثره في ذلك، فذاع العبث و الفساد و المجون، و أقبل النّاس على مجالس اللّهو و الشّراب و الغزل بالذكّر، و كان للقيان و الجواري أثرهنّ في هذا المجال.

---

[83] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص 358.
[84] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص404.

و لقد أشاع هؤلاء الكثير من ضروب المعاشرة للرجال و استعمال الألفاظ المكشوفة دون حياء و لا خجل، و كان يرافق جلسلت السّمر احتساء الكؤوس حتّى الثّمالة، يجاهر بها الشّعراء دون رادع و لا رقيب و يفتخرون بمعاصيهم فهذا أبو نواس يقول:

و مورّد الخدّين من رهبانهم هو بينهم كالضّبي بين ليوث.

جادلته في قبلة فأجابني لا و المثيح و حرمة النّاقوث.[85]

يقول الدكتور هدّارة في تفسير ظاهرة الغزل بالمذكّر، أنّ الشعراء أوغلوا في المجون والإقبال على الملذّات الحسيّة المختلفة و الشهوات الدّنيا، فلم تعد تفتنهم الجارية المتهتّكة الخليعة الّتي يستطيعون أن ينالوا منها كل ما يريدون في سهولة و يسر، و لم تعد ترضي شهوتهم و نزعاتهم الرّضاء الكافي، لهذا لجأوا إلى حيلة أخرى لإدراك غايات ملذّاتهم، فلم يجدوا بدّا من الشّذوذ الجنسي على الرغم من سهولة إدراك المرأة في عصرهم.[86]

الخمريات: لاحظنا أنّ الشاعرالجاهلي عندما تحدث عن الخمر، تحدّث عنها في معرض المفاخرة و المدح فتناثرت في قصائده أبيات تذكر الخمر في مناسبات عابرة ارتبطت بالحديث عن الجود و الكرم و الإنفاق في سعة و الإقبال على الحياة، وصفها الشعراء الجاهليّون في بيت أو بضعة أبيات قليلة متحدّثين عن لونها و طعمها و اختلاطها بالماء وأثرها في النّفوس، كما تعرضوا لوصف مجالسها و جلسائها مثل قول الأعشى:

يطوف بها علينا ساق متوّم خفيف دفيف ما يزال مقدّما.

بكأس و إبريق كأن شرابه إذا صبّ في المصحاة خالط بتّما.

كما اهتم بها و ذكرها شعراء آخرون في العصر الأموي مثل الأخطل الذي كان شعره الخمري منبثّا في قصائد مديحه في الغالب كما كان الحال في الشعر الجاهلي.

يقول في لاميته المشهورة:

صريع مدام يرفع الشرب رأسه ليحيى و قد ماتت عظام و مفصل.[87]

---

[85] - محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق، ص42.

[86] - عيسى فوزي، في الأدب العبّاسي، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، 2003،ص67.

[87] - محمّد أيمن زكي العشماوي، نفس المرجع السّابق، ص31.

و إذا كان الأعشى و الأخطل قد سبقاه إليها، فهي كانت عندهم وسيلة و ليس غاية مثل النّواسي، فهي كل شيء عنده في الحياة.

و من أبرز ملامح التّجديد التي عرفتها الخمرة كغرض من الأغراض، قائمة بذاتها، التعمق في معانيها و استقلالها ضمن قصائد بدلا من بقائها كغرض من أغراض القصيدة التقليدية. فما يعد حلولها محلّ النّسيب بمطالع القصائد العباسية كالذي في شعر أبي نوّاس و غيره من الظواهر الجديدة في هذا الغرض.[88]

و من بين الأمثلة التي تعد ثورة على المقدمة الطلالية و على طريقة اقدماء في النّظم، و في الوقت نفسه دعوة إلى التجديد و التخلص من عبىء الماضي و رواسبه كقوله:

دع الأطلال تسفيها الجنوب و تبلي عهد جدتها الخطوب.

و خلي لراكب الوجناء أرضا تحب بها النّجيبة و النّجيب.

و قوله:

دع الوقوف على رسم و أطلال و دمنة كسحيق اليمنة البالي.

و كان هدفه من وراء ذلك، تحقيق غرضين هما تمجيد الخمر و نشر الإباحية بكل مظاهرها و العمل على إشاعة الغزل بالمذكر و المؤنث و ثانيهما الحّط من قيمة العرب و أدابهم و تراثهم في إطار نزعة شعوبية.[89]

و من صور التجديد في لون الخمر عند أبي نوّاس، هذا الوصف المبدع المتمثّل في ادعاء الشاعر بأنه لحسن جمالها (الخمر) المسكوبة في الكأس، فإنه صرف نظره عنها خوفا عليها من الحسد فيقول:

لم تنظرالعين إلى منظـر في الحسن و الظرف يدانيها.

مازالت خوف العين لمّا بدت أنفث في الكأس و أرقيها.

و لعلّ أعجب صورة تجديدية من صور أبي نواس، و أبدعها في وصف الخمر قوله:

و سيّارة ضلّت على القصد بعدما بدا دونهم أفق من اللّيل مظلم.

فأصغوا إلى صوت و نحن عصابة و فينا فتى من سكره يترنّم.

في هذه الأبيات هو وندمانه، كلما رفعوا كؤوس المدام ليحسوها، بدا في الظلمة شعاعها كالضرام، فإذا بالركب الساري يهتدي بها و يقبل نحوهم ميمّما.

و نحن لا نعجب من أمر أبي نوّاس عندما يأتي شعره متضمّنا لمثل هذه المعاني و الصور البيانيّة فهو إلى جانب مجونه، شاعر مبدع فنّان يعرف كيف يقتنص المعاني و يصوغها بمهارة عجيبة و يتميّز بكونه صريح يفضّل المجاهرة و لا يحبّ التستّر، و يتمنّى بلوغ اللذة من جميع جوانبها كقوله:

---

[88] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص307.
[89] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص308.

ألا فاسقني خمرا و قلي هي الخمر ولا تسقني سرّا إذا أمكن الجهر.[90]

و في المقدمات الخمريّة التي جاء بها نجده يخرج من وصف المحبوب إلى الخمر فيأخذ في وصف رحلتها منذ القدم، و كيف أنّها كانت معروفة عند قوم نوح، و كيف أن أحد التجار تخيرها و دفنها في باطن الأرض و مرّت عليها أزمان ظل النّاس يبحثون عنها. فكانت هذه الخمريات إذن مسرحا لعداوته في الثّورة على الطّلل.

و يمدح أبو نواس الأمين وفق دعوته الجديدة، و نرى له في ديوانه قصيدتان تمثلان هذه الدّعوة، الأولى هي القصيدة النونية بقوله:

يا كثير النّوح في الدّمن لا عليها بل على السّكن.

سنّة العشاق واحدة فإذا أحببت فاستكن.

و القصيدة الأخرى هي السينية التي يبدؤها مباشرة بوصف الخمر و مجدها قائلا:

نبّه نديمك قد نعس يسقيك كأسا في الغلس.

صرفا كأنّ شعاعها في كفّ شاربها قبس.

و يرى الدكتور مندور أنها كانت محاذاة للنّهج القديم، و أبو نوّاس لم يزد على أن استبدل ديباجة بديباجة. بينما يرى الدكتور هدّارة أن هذه الثورة كانت نتيجة تطور كبير في مفهوم الشّعر في القرن الثاني، و كانوا يستغلون بداية قصائدهم في التعبير الحر عن أنفسهم و مشاعرهم و نوازع حياتهم.[91]

و هكذا يبدو أبو نوّاس بأنّه يتجاوز التقليد و رموزه القديمة: الطلل، الناقة و الصحراء، و كل ما يتصل بها ساخرا من البداوة و الحياة البدوية. يرفض بطريقة أخرى هذه الحياة و نمط التعبير عنها، ويدعو إلى نمط حياتي آخر هو نمط الحياة في البلد، و هو يفترض بالضرورة نمطا آخر من التعبير، هذا يعني أنّ أبا نوّاس لا يرث، بل يؤسّس و لا يكمل بل يبدأ، إنّه لا يعود إلى الأصل، و إنما يجد هذا الأصل في حياته ذاتها و بدءا من تجربته، فهو ينغرس في اللغة و أصواتها، لا في النّاطقين وأصواتهم. لذلك لا يكرّر الخطوات التي مشاها هؤلاء، و إنما يفتح طريقه هو، و يخطو خطواته هو، إنّه يعيد بدءا من تجربته تشكيل صورة العالم حسب رؤيته للحياة.[92]

---

[90] - المرجع السّابق، ص309.
[91] - فوزي عيسى، نفس المرجع السّابق، ص136.
[92] - أدونيس، نفس المرجع السّابق، ص118.

ـالطرديات: كان أبو نوّاس في أراجيزه و وصفه للصيد و أدواته و جوارحه أكثر تمسّكا بالقوالب القديمة، و قد سبقه أبو نخيلة و أضرابه من شعراء العصر الأموي، و مضى في إثرهم يحاكيهم في التمسّك بقالب الرجز أداة لهذا الوصف، و كل ما يتّصل به من لفظ غريب.

يقول في إحدى طردياته:

هجنا بكلب طالما هجنا به ينتسف المقود من كلاّبه.

كأنّ متنيه لدى انسرابه متنا شجاع لجّ في انسيابه.

كأنّما الأظفور في قنابه موسى صنّاع ردّ في نصابه.

و تمتلئ طردياته بمثل هذه التشابيه و الاستعارات.

وكان يعرف كيف يجدد فيها و كيف يأتي بالظريف النّادر من جهة أخرى.[93]

و رغم أنّ هناك من سبقه من الشعراء، لكنّه هو الذي مد طنوبه و فتح أبوابه، لا من حيث كثرة ما نظمه فيه فحسب، بل أيضا من حيث دقّة وصفه لأدواته و جوارحه ممّا جعل الجاحظ ينوّه بطردياته، يقول في إحداها قائلا:

ما البرق في ذي عارض لمّاح و لا انقضاض الكوكب المنصاح.

يطير في الجو بلا جناح يفترّ عن مثل شبى الرّماح.[94]

و الطرديات من الأبواب الشعرية التي كانت معروفة عند العرب، إلاّ أنّها حتى عهد أبي نوّاس لم تكن فنّا مستقلاّ بذاته، بل كانت تأتي في ثنايا قصيدة مختلفة المواضيع موجزة في الإجمال، قلّما تتعدّى بضعة أبيات. وقصائده مليئة بالصور الرّائعة مثل صور الكلاب و الطّرائد، و آلات الصيد و سائر ما يستخدم و يرى في مثل هذا الحال.

و أبو نوّاس يكثر في هذا الباب من الصّناعة البديعية و الاستعارات و التشابيه الخيالية و الصور المستمدة من حضارة الفرس المترفة.[95]

-الشعوبية:ظل أبو نوّاس يفضّل التعاجم و يشايع الشعوبية في احتقار الحياة البدوية في مثل قوله:

تراث أبي ساسان و لم تكن موارثيا ما أبقيت تميم و لا بكر.

و قوله أيضا:

ألم ترى ما بنى كسرى و سابور لمن غبرا.

منازه بين دجلة و ال فرات تفيّأت شجرا.

فهو يدعو من باب المفاضلة إلى الوقوف على ما تزخر به ضواحي الفرات و دجلة من أثار فارسيّة شاهدة على ما شيّده كسرى و سابور.

و يصوّر أبو نوّاس مظاهر التّرف عند آل ساسان بينما العربي لا يعرف سوى شرب اللّبن و الحليب داخل الخيم فيقول:

فهذا العيش لا خيم البوادي و هذا العيش لا اللّبن الحليب.

فأين البدو من إيوان كسرى و أين من الميادين الزروب.[96]

---

[93] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص231.
[94] - شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص189.
[95] - حنّا الفاخوري، نفس المرجع السّابق، ص402.
[96] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص374.

و شعوبيته قد أخذت مسلكا جديدا، فهي لم تتعرّض للعرب في أسوء حال، فهي تدعو إلى نبذ الطّريقة التّقليدية في الإنشاد كما رأينا سالفا.

و هنا نلاحظ أنّ شعوبيّة أبو نوّاس هي أقلّ خطورة من شعوبيّة بشّار، لأنّه لم يكن عدوّا للعرب مثل نظيره، فهو عندما يثور على التقاليد العربيّة الموروثة و دعوته إلى هجر المقدّمة الطّلاليّة بمختلف أشكالها، يكون قد دعا إلى مسايرة مظاهر الحياة الّتي تتجدّد و تتطوّر في مختلف مظاهرها و اتجاهاتها و نبذ ما يخالفها و يناقضها.

و تعتبر الزندقة امتداد و وجها آخر لشوبيته، و وكان هناك زنادقة آخرون مثله لم يقتلوا، لأنّ التهمة لم تثبت عليهم جيّدا عند ديوان الزّنادقة الّذي أنشأه النهدي.

و أبو نوّاس خير من يصوّر هذا الصّنف بسبب مجونه، و بسببما قد يبدر على ألسنتهم في قصفهم و شربهم، من أبيات مارقة على شاكلة قوله:

يا ناظرا في الدّين ما الأمر لا قدر صحّ و لا جبر.

ما صحّ عندي من جميع الّذي تذكر إلاّ الموت و القبر.

و لكن هذا كان تعابثا و مجانة، و كان القائمون على ديوان الزّنادقة يميّزون بينه و بين الزّندقة الحقيقيّة، فيكتفون بحبس أبي نوّاس حين يأمرهم بعض الخلفاء أو بعض الوزراء تعذبرا له حتّى يرتدّ عن غيّه.[97]

-المعاني المتجدّدة: إذا كان شعراء ما قبل الإسلام يتصدّون إلى وصف جمال المحبوبة و خاصّة وجهها و حسن إشراقه، يعمدون إلى التّشبيه و ما يتطلّبه من موضوعات، فإنّ المولّدين قد سلكوا مسلكا

[97] - شوقي ضيف، الفن و مذاهبه، ص114.

جديدا فجمال وجه المحبوبة ليس شكلا جامدا، و لكنّه متحرّك و بشكل دائم متغيّر، فتولد منه مع كلّ نظرة صورة جديدة لا تتكرّر سابقتها ولكنّها تتفوّق عليها.

يقول أبو نوّاس:

و ذات خدّ مورّد فتّنة المتجرّد.

الحسن في كلّ جزء منها معاد مردّد.

فبعضه في انتهاء و بعضه يتولّد.

و كلّما عدت فيه يكون في العود أحمد.

و قد أكثر أبو نوّاس من ترديده لهذا المعنى المبتكر في قوله:

يزيدك وجهه حسنا كلّما زدته نظرا.

فهذه الأبيات دليل حيّ على التطوّر الّذي طرأ على معاني الشّعر في هذا العصر.[98]

و قد انفرد بمعاني جديدة لم يسبقه إليها أحد قبله كقوله:

تدار علينا في عسجديّة حبتها بأنواع التّصاوير فارس.

قرارتها كسرى و في جنباتها مهى تدّريها بالقسيّ الفوارس.

.

فللرّاح ما زررت عليه جيوبها و للماء ما دارت عليه القلانس.

فالخمرة الّتي وصفها الشّاعر تحمل ماء يسيرا بقدر القلانس الّتي على رؤوسها. و من معانيه المخترعة في الخمر قوله:

فاسقني الخمر الّتي اختمرت بخمار الشّيب في الرّحم.

و يريد أبو نوّاس ب"خمار الشّيب ي الرّحم" أنّ الكرم اذأوّل ما يجري فيه الماء يخرج شبيها بالقصنة و هي أصل العنقود.[99]

و ما تميّز به أبو نوّاس أيضا أنّه أدخل بعض أفكار المعتزلة في شعره، و في ما يستخدمون من ألفاظ خاصّة، فمثلا قوله في وصف الخمر:

توهّمتها في كأسها فكأنّما توهّمت شيئا ليس يدرك بالعقل.

و في قوله:

---

[98] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص380.
[99] -. المرجع السّابق، ص386.

اسقني حتّى تراني حسنا عندي القبيح.

فالدّكتور عزّ الدّين اسماعيل يعلّق هذا البيت و يقول أنّ أبا نوّاس يريد أن يشرب الخمر حتّى يذهب عقله، فعندئذ يفقد القدرة على رؤية الأشياء على حقيقتها فتنقلب عنده القيم رأسا على عقب فيصبح القبيح عنده حسنا. و هذا المعنى يؤكّد وجهة نظر المعتزلة في أنّ العقل هو أداة إدراك الحقّ و القبيح.[100]

و ليست جميع هذه المعاني من اختراع أبي نوّاس، فقد يكون بعضها مسروقا من قصائد شعراء آخرين، فهذا الأعشى يقول:

و كأس شربت على لذّة و أخرى تداويت منها بها.

فقال أبو نوّاس:

دع عنك لومي فإنّ اللّوم إغراء و داوني بالّتي كانت هي الدّاء.[101]

و قد تناول أبو نوّاس معاني السّابقين، كغيره من شعراء العصر العبّاسي، فتصرّفوا فيها بما توحيه بيئتهم و حضارتهم، حتّى صبغوها بصبغتهم و ألبسوها ثوب الجدّة و الطّرافة. فكان الفرزدق يقول في ناقته:

متى تأتي الرّصافة تستريحي من الأنساع و الدّبر الدّوامي.

فيجعل جزاءها على بلوغ الممدوح أن يريحها من الأنساع و الدّبر، أمّ أبو نوّاس فإنّه يسخو في الجزاء، فيطلق راحته، و يحرّم ظهرها على الركّاب بقوله:

وإذا المطيّ بلغنا بنا محمّدا فظهورهنّ على اللاّجال حرام.

و كان جرير يقول:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت النّاس كلّهم غضابا.

فقال أبو نوّاس:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

و هكذا يكون أبو نوّاس أبلغ و أبعد في المبالغة. فنرى أنّة جعل ممدوحه الفرد العالم كلّه، في حين جرير جعل القبيلة هيّ النّاس كلّهم. و العالم أعمّ و أشمل من النّاس.[102]

---

[100] - فوزي عيسى، نفس المرجع السّابق، ص105.

[101] - محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص375.

[102] - محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق، ص103.

ـاللّغة والأسلوب: أمام هذا الجنوح نحو التجديد في الشّعر، لمسايرة روح العصر و تلبية رغبات دعاة التجديد، و هم من جمهور المولّدين، فإنّ معظم الشّعراء الّذين رفعوا راية التّجديد في هذا العصر كانوا يحرصون على أن تظلّ لغة شعرهم هي لغة الحياة اليوميّة، أو قريبة منها، و بذاك تنتشر أشعارهم ويكثر الإقبال عليها لأنّها جزء لا يتجزّأ من ثقافتهم و مرآة عاكسة لأفكارهم و عواطفهم.[103]

و من بين مظاهر التجديد الّتي أحدثوها في اللّغة ، أنّهم طعّموا و ملّحوا لغة شعرهم بألفاظ فارسيّة كالّتي تتردّد في شعر أبي نوّاس قائلا:

و المهرجان المدار لوقته الكرار.

و النّكروز الكبار و حبشن جاهنبار.

و آبسال الوهّار و خرّة ايران شار.

و النكروز(النيروز) و المهرجان هي من أعياد الفرس.[104]

و يدخل في شعره الصّنعة في اللّفظ و الصّورة، و لكنّه لا يسرف إسراف المتصنّعين كمسلم بن الوليد و أبي تمّام و إنّما يجيء صنعة كالحلية البديعة.

و يرى النّقاد المحدثون خلاف رأي القدماء في شعره الجديد إذ يعتبرونه أكثر صدقا و أظهر تعبيرا عن شخصه و عصره، يقول طه حسين:" و كان أبو نوّاس في شعره صادقا في التعبير عن أحاسيسه، صادقا في وصفه للحياة من حوله، فهو يصدق في وصف لذّات الحياة، و إن كانت خارجة عن الدّين و الفضيلة لأنّه لم يرد أن يخفي نفسه أو يتحدّث بما لا يرى، فهو صادق الوصف لأنّه أراد بهذا الصّدق أن يرضي نفسه".[105]

كما شاعت في ألفاظ الشّعر المصطلحات العلميّة الّتي كانت تجري عاى الألسنة في العلوم الكلاميّة و الفلسفيّة و الكيميائيّة و الهندسيّة و نحو ذلك، قال أبو نوّاس:

تأمل العين منها محاسنا ليس تنغد.

فبعضها قد تناهى و بعضها يتجدّد.

---

[103] ـ مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص401.
[104] ـ المرجع السّابق، ص407.
[105] ـ محمّد سلام زغلول، نفس المرجع السّابق، ص371.

أمّا الّذي هجر فهو اللّفظ الخشن و الكلمة الغريبة و التركيب المتوعّر و الإستهلال بذكر الأطلال.[106]

و قال سليمان بن أبي سهل لأبي نوّاس: ما الّذي استجيد من أجناس شعرك، فقال: أشعاري في الخمر لم يقل مثلها، و أشعاري في الغزل فوق أشعار النّاس، و هما أجود شعري إن لم يزاحم غزلي ما قلته في الطّرد. و قال العتابي لرجلين تناظرا في شعر أبي نوّاس، و الله لو أدرك هذا الخبيث الجاهليّة ما أفضّل عليه من أحد.[107]

و يقول الجاحظ عنه:" ما رأيت أعلم باللّغة من أبي نوّاس و لا أفصح لهجة مع حلاوة و مجانبة استكراه". و هذه أمور ليست بحاجة إلى تأكيد، فأمرها واضح من شعره، و من ثقافته و تاريخه و اطّلاعه الواسع في شتّى صنوف المعرفة.[108]

و قد كان أبو نوّاس يعمد كثيرا إلى الألفاظ العذبة الرّشيقة الّتي تموج بالعفّة و النّعومة، فيألّف منها مدائحه على شاكلة سينيّته في الأمين يقول فيها:

أضحى الإمام محمد للدّين نورا يقتبس.

و كان يحسن اختيار أسهل الألفاظ و أيسره و أقربه إلى ما يجري على ألسنة النّاس في حياتهم اليوميّة و من أجل ذلك كان يتجافى عن ألفاظ القدماء حتّى في المديح أو قل في كثير منه. فإنّه كان يبتغي فيه أو على الأقلّ في بعضه أن يأخذ بألباب سامعيه بما يعرض عليهم من لغة عذبة تسيل خفّة و رشاقة.[109]

-الأوزان:

راح الشّعراء العبّاسيّون يروّجون الأوزان القديمة الّتي تناسب فن الغناء الّذي كانت تؤدّيه الجاريّات و لم يكتفوا بذاك، بل أخذوا يبتكرون أوزانا أوحى بها مزاجهم أو دعا إليها فنّ الغناء مثل المقتضب كما يزعم أبو العلاء المعرّي. فهذا أبو نوّاس يقول في المقتضب:

حامل الهوى تعب يستخفّه الطرب.

و معظم ما استحدثوه من الأوزان، أغلبه مستنبط من دوائر البحور المعروفة، و البعض خرج عن المألوف كالمستطيل و الممتدّ و المتوافر و غيرها من مقلوب البحور.[110]

---

[106] ـ محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق، ص94.

[107] ـ محمّد عبد المنعم خفّاجي، نفس المرجع السّابق، ص156.
[108] ـ محمّد أيمن زكي العشماوي، نفس المرجع السّابق، ص205.
[109] ـ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص 229.
[110] ـ محمّد ربيع، نفس المرجع السّابق، ص97.

على أنّنا نستطيع أن نؤكّد هنا أبا نوّاس قد جارى ما كان يحدث في عصره من حالة التخفّف من نظام القصائد التقليديّة إلى نظام المقطوعة الّتي تشتمل على مجموعة من الأبيات تلتزم فيها قافية واحدة. و لكنّها تشكّل في مجموعها وقفة أو لقطة أو حدثا صغيرا أو صورة من تلك الصّور الّتي تجسّد لحظة من لحظات الشّراب أو اللّهو في مجلس شراب أو غناء. و يعود ذاك لإحساسه بأنّ القصائد القصيرة تساعده على إعطاء ما لديه من انفعال في دفعة واحدة.

و لعلّ هذه الظّاهرة قد صاحبتها في نفس الوقت ظاهرة الإهتمام بالأوزان المجزوءة و القصيرة إلى جانب الأوزان الطّويلة و هي ظاهرة شاعت في العصر لكي تساعد الشّاعر على التعبير عن الحياة الجديدة الّتي تحوّل إليها النّاس. و من هذه الأوزان مجزوء الكامل و مجزوء الكامل و مجزوء الرّمل و مجزوء المنسرح و الهزج و المضارع و المقتضب و المجتث و الخبب و مجزوء المقتضب و مجزوء المتقارب.[111]

و من مظاهر تجديده كما سلف، المقطوعة الشّعريّة، فكانت وسيلة من وسائله في الإنطلاق من قيود الشّعر و محاولته للتجديد في شكل القصيدة و قد أظهر في مقطوعاته الشّعريّة حركة متدفّقة وحيدة، كما لوحظ أنّ معظم هذه المقطوعات قد جاءت في بحور قصيرة و في لغة سهلة قريبة من لغة الحياة و الغناء في مثل قوله لمعاتبه على الخمر:

أيّها العاتب في الخم ر متى صرت سفيها.

كنت عندي بسوى ه ذا من النّصح شبيها.

لو أطعنا ذا عتاب لأطعنا اللّه فيها.[112]

---

[111] ـ محمّد أيمن زكي العشماوي، نفس المرجع السّابق،ص276.

[112] ـ محمّد أيمن زكي العشماوي، نفس المرجع السّابق، ص277.

-القوافي: هناك من يرى أنّ أبا نوّاس هوّ أوّل من تحرّر من القافية و نظام الرويّ الواحد في الشعر العربي مثل ابن رشيق الّذي يقول" و قد جاء أبو نوّاس بإشارة أخرى لم تجر العادة بمثلها".

و بعد هذه المحاولة الجريئة الّتي استهدفت تكسير حدّ القافية. و الّتي لم يتمكّن أصحابها من تجاوز حدود تجزئة الأوزان و زحافاتها في أثناء محاولاتهم التجديديّة، نفسح المجال لوجه من أوجه هذه المحاولة و هو ما يسمّى بنظام المزدوجات، الرّباعيّات، المخمّسات، و المسمّطات.

-الرّباعيّات: المربّع هو الشّعر الّذي تتألّف قصيدته من أربعة أشطر، أوّلها و ثانيها و رابعها تتّفق في قافية واحدة، أمّا الثّالث فقد يتّفق و قد لايتّفق.

و من أمثلة شعر الرّباعيّات قول أبي نوّاس:

أدر الكأس و اعجل من حبس و اسقنا ما لاح نجم في الأفق.

قهوة كرخيّة مشمولة تنفض الوحشة عنّا بالأنس.

و يرى شوقى ضيف بأنّه من الممكن أن يكون شعر المزدوج هو الّذي ألهم العبّاسيّين نظم الرّباعية الّتي انبثقت منه.[113]

و هناك من يرى أنّ استعمال المقطوعات الشّعريّة بأشكالها المخمّسة و المسمّطات غير موجودة في خمرياته. و أنّها مكذوبة النّسبة لأبي نوّاس، لأنّ كلماتها المزعومة تخرج تماما عن لغة أبي نوّاس و لا ترتفع إلى مستوى شعره.[114]

-المخمّسات: من أشهر القصائد الّتي نظمت على هذا الشكل (المخمّس) قصيدة لأبي نوّاس يقول فيها:

قالت ألا تلجن دارنا و كابد الأشواق من أجلنا.

---

[113] - مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص433.

[114] - محمّد أيمن زكي العشماوي، نفس المرجع السّابق، ص277.

و اصبر على مرّ الجفا و الضّنا و لاتمرّنّ على بيتنا.

إنّ أبانا رجل غائر

فقلت إنّي طالب غرّة يحظى بها القلب و لو مرّة.

قالت بعيد ذاك متحسّرة قلت سأقضي غرّتي جهرة.

منك و سيبقى صارم باتر.

فلمّا أنشدها بحضرة الخليفة أعجبه ذاك و أمر له بالجائزة العظمى.[115]

و يلاحظ أنّ بعض تراكيبها تميل إلى العاميّة، و كأنّ المخمّس قد ألهم الوشّاحين الأندلسيّين، فاقتفوا أثره، فجاءت موشّحاتهم مختومة بخرجات عاميّة[116].

ـ **المسمّطات:** المسمّط ضرب من الشّعر، و القصيدة فيه تتألّف من أدوار و كل دور يتكوّن من أربعة أشطر أو خمسة و هو الغالب، أو أكثر أو أقلّ، و تتوالى الأدوار و لكلّ دور قوافيه الخاصّة به، وهو ينتهي بشطر قافيته تتحدّد مع قافية الشّطر الأخير من كل دور، وقد سمّي هذا الشطر عمود المسمّط لأنّه بمثابة القطب الّذي يدور عليه.

و من نماذج أبي نوّاس قائد الثورة التجديديّة في المسمّطات قوله من قصيدة ضمّنها عدّة أدوار، يقال أنّه قالها يوم أن حجّ مع جنان، فلمّا أحرم، قام في جنح اللّيل و جعل يلبّي و يحدو و يطرب وفيها يقول:

إلهنا ما أعدّ لك مليك كلّ من ملك.

لبّيك قد لبّيت لك

لبّيك إنّ الحمد لك و المك لا شريك لك

ما خاب عبد سألك انت له حيث سلك

لولاك يا ربّ هلك[117].

و سمّيت المسمّطات بهذا الإسم من السّمط، و هو قلادة تنظم فيها عدّة سلوك تجتمع عند لؤلؤة أو جوهرة كبيرة و كذاك كلّ دور في المسمّط يجتمع مع الأدوار الأخرى في قافية الشطر الأخير، و كان شيوع المسمّطات المخمّسة أوسع من شيوع أختها المربّعة.[118]

---

[115] ـ مصطفى بيطام، نفس المرجع السّابق، ص437.

[116] ـ المرجع السّابق، ص437.

[117] ـ المرجع السّابق، ص439.

و من نماذج مسمّطاته المربّعة خمريته الّتي تتوالى على الشّكل التّالي:

سلاف دنّ كشمس دجن.

كدمع جفن كخمر عدن.

طبيخ شمس كلون ورس.

يا من لحاني على زماني.

اللّهو شاني لا تلمنــي.

و لعلّ الدّافع الأساسي الذي يدفع الشعراء في هذا العصر إلى النّظم في هذه الأوزان، ذات الجرس الموسيقي الشّعري يعود إلى الغناء وما يتطلّبه من اختراع و ابتكار في الأوزان و القوافي الّتي تتماشى و متطلّبات هذا الفن الّذي أصبح يستند إلى قوالب جد متطوّرة.

و عمليّة التجديد هذه ما لبثت أن وجدت صدى عميقا و كبير لدى الكثيرين، و لا سيما عندما توّجت بنجاح و سرعة حيث انتشر نظام الموشّحات و الأزجال قبل نهاية العصر العبّاسي أي في مطلع القرن الرابع هجري.[119]

إنّ المتعمّق في شعر أبي نوّاس يجده مليء بالصور الفنيّة الرّائعة و المواضيع المتجدّدة، و لعلّ أبرزها الخمريات، ذلك الغرض الّذي كان موجودا من قبل في ثنايا القصائد، و لكنّ أبا نوّاس أفرد للخمر قصائد طويلة ذكر فيها ساقيها و قاطفها، و عاصرها، و بائعها و شاربها و ألوانها و أسمائها، ولم يترك شيئا يتعلّق بها إلاّ ذكره، ناهيك عن حلولها محلّ المقدّمة الطلاليّة، وهذا بعينه إضافة جديدة و لمسة فنّية ير مألوفة، من هذا الشّاعر المبدع الّذي لم يتوان في الخروج عن المألوف و كسر القيود الّتي عمّرت في الشّعر العبي قرونا طويلة. بالإضافة إلى تلك المعاني الّتي أم يسبق لأيّ شاعر أن أتى أو سمع بها، ممّا يعكس لنا بحقّ مدى الذّكاء الّذي يتمتّع به هذا الشّاعر الفذ ، ما جعل بعض النّقاد يقول عنه لو أدرك هذا الشّاعر الجاهلي لكان أفضل من امرىء القيس.

---

[118] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص199.

[119] - مصطفى بيطام، المرجع السّابق، ص440.

الخاتمة

و بعد هذا، فإنّ بشّار ترك في تاريخ الشعر العربي أثرا ضلّ يتردّد، و صدى يتجاوب، وفتح للشعراء طريقا سلكوها و أبدعوا فيها هيّ طريق البديع.

و قد كان هذا الشّاعر محطّ اهتمام القدماء به مثل بن المعتز و بن رشيق. و اهتمّ الباحثون المعاصرون به أيضا على سبيل المثال طه حسين في حديث الأربعاء، و العقّاد في مراجعات في الآداب و الفنون و المازني في دراسات في شخصيّة بشّار و غيرهم.

أمّا أبي نوّاس، فقد كان شعره صورة للإنسان و العصر العبّاسيين، صورة صادقة بكلّ نوازعه الجادّة و المنحرفة.

و هو إبداع لمبدع لا يملّ من قراءته، من نزعته به النّفس إلى اللّهو، و لا من طلب جاد الحديث من القول.

قائمة المراجع:

1-أدونيس، الثّابت و المتحوّل، بحث في الإبداع و الإتّباع عند العرب، دار السّاقي، بيروت، ط1، سنة2002، تأصيل الأصول.

2-حامد حنفي داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العبّاسي الأوّل من سنة 132ه إلى 334ه، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1993.

3-حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسيّة، بيروت، ط10، سنة1980.

4-سعيد الورقي، لغة الشّعر الحديث و مقوّماتها الفنيّة و طاقتها الإبداعيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط2004.

5-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل، دار المعارف القاهرة، ط13، سنة1993، ج3.

6-شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط12، سنة1993.

7-عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، سنة1997، مجلّد1.

8_عيسى فوزي، في الأدب العبّاسي، دار المعرفة الجامعيّة، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، 2003.

9-كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1993، القسم الأوّل.

10-محمّد أيمن زكي العشماوي، خمريات أبي نوّاس، دراسة تحليليّة في المضمون و الشّكل، دار المعرفة الجامعيّة القاهرة، 2000.

11-محمّد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم و الجديد، عصمي للنّشر و التوزيع، القاهرة.

12-محمّد ربيع، تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الأوّل، مؤسّسة الورّاق للنّشر، عمّان، 2008.

13-محمّد سلام زغلول، الأدب في عصر العبّاسيّين(منذ قيام الدولة حتّى نهاية القرن الثّالث)، منشأة المعارف، القاهرة، 1995.

14-محمّد عبد المنعم خفّاجي، الحياة الأدبيّة في العصر العبّاسي، دار الوفاء لدنيا الطّباة للنّشر و التوزيع، مصر، 2004.

15-مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع و ملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العبّاسي الأوّل(132ه-232ه)، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995م.

16-نور الدين السد، الشعريّة العربيّة، دراسة في التطوّر الفنّي للقصيدة العربيّة حتّى العصر العبّاسي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995.

الفهرس

مقدمة.

تمهيد.

الفصل الأوّل: التجديد عند بشّار بن برد.

1_الأغراض و المواضيع .....20_28.

2-المعاني.....28_30.

3-اللّغة و الأسلوب..... 30_ 32.

4-الأوزان والقوافي.....33_35.

الفصل الثّاني: التجديد عند أبي نوّاس.

1-الأغراض و المواضيع..... 39_51.

2-المعاني.....52_53.

3-اللّغة و الأسلوب.....54_55.

4-الأوزان و القوافي.....56_59.

خاتمة.....61.

قائمة المصادر و المراجع.....63.

فهرست الموضوع.....65.